دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	قلعة تبوك
المصدر:	مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية
الناشر:	جامعة أم القرى
المؤلف الرئيسي:	عجيمي، هشام محمد علي حسن
المجلد/العدد:	س 1 , ع 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1989
الصفحات:	131 - 196
رقم MD:	280
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch, EcoLink, IslamicInfo, HumanIndex, AraBase
مواضيع:	الهندسة المعمارية، تبوك، قلعة تبوك، جغرافيا، تاريخ، العهد العثماني، الآثار، الأسلوب المعماري، طريق الحج الشامي، الحصون والقلاع، الكشوف الأثرية، العمارة الحربية، العمارة الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/280

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

قلعَـة تبـــوك

د . هشام محمد على عجيمي*

* حصل على درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية من جامعة أم القرى عام ١٤٠٣ هـ ـ حصل على درجة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية عام ١٤٠٧ هـ ـ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في قسم الحضارة والنظم الإسلامية بجامعة أم القرى ـ عضو الجمعية الأثرية بجامعة الملك سعود بالرياض .

ملخـــص البحـث

يشتمل هذا البحث على تسجيل علمي أثري لقلعة « تبوك » التي يرجع إنشاؤها إلى العصر العثماني ، والواقعة في مدينة « تبوك » الحالية ، قاعدة المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية ، والتي كانت ضمن محطات طريق الحاج الشامي .

وقد تضمّن هذا البحث وصف القلعة وعمل كروكيات وخرائط أفقية ورأسية لها ، وتأصيل العناصر المعمارية الدينية والحربية والانشائية وتصويرها ، وتتبع تاريخ المبنى وما أجري عليه من ترميم وإصلاح ، فضلاً عن بيان دوره الحضاري ، وتصحيح بعض المعلومات الواردة في المصادر والمراجع ، والتي تم اكتشافها بعد إجراء الدراسة الميدانية لمبنى القلعة .

كما يشتمل البحث على اكتشاف لنص أثري مؤرخ في عام ١٢٦٠ هـ ، مثبت داخل القلعة وتقديم دراسة عن الكتابات المثبتة على جدران القلعة ، وتصحيح ما ورد عنها من معلومات في المراجع العلمية .

مقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد ، ،

تزخر المملكة العربية السعودية بالعديد من المواقع الحضارية من مختلف العصور ، وتشكل المواقع الحضارية التى ترجع إلى العصر الإسلامي ميدانا خصبا للدراسة والبحث .

وقلعة « تبوك » إحدى المواقع الحضارية التي ترجع إلى العصر العثماني الجديرة بالدراسة ، وحيث أن القلعة لم تحظ بأى دراسة من قبل ، فأني أفخر بتسجيلها تسجيلا علميا وتقديم دراسة مستفيضة عنها .

وقد ابتدأت الدراسة بزيارة الموقع ورفعه رفعا هندسيا من واقع الطبيعة ، وعمل مساقط افقية ورأسية وكروكيات ، الحقت بالبحث في ملحق الاشكال ، فضلا عن تصوير القلعة من الداخل والخارج كما يبدو في ملحق اللوحات .

وفي مجال الدراسات النظرية عن القلعة فقد تناولت الدراسة أهمية موقع القلعة في طريق الحاج الشامي ، وتوفر المواد الخام بها ، وكذلك تتبع تاريخ تحصين « تبوك » .

ثم اردف ذلك بتتبع عوامل انشاء القلعة ، وتاريخ بنائها والترميمات التى اجريت عليها .

وتم وصف المبنى وصفا علميا دقيقا مشفوعا بالمساقط الافقية والرأسية واللوحات التي الحقت بالبحث كما سبق بيانه . وتقديم دراسة عن الكتابات التذكارية التي يضمها المبنى ، كما قامت الدراسة بتحليل العناصر المعمارية للقلعة ومقارنتها بالقلاع الأخرى في المنطقة وغيرها من القلاع في العالم الإسلامي .

وانهي البحث بخاتمة تضم أهم النتائج التي تم التوصل اليها وأردف البحث بقائمة تضم المصادر والمراجع التي تم الرجوع اليها في كتابة هذا البحث ، فضلا عن ملحق للاشكال وآخر للوحات .

والله أسأل أن أكون قد وفقت في إخراج هذا البحث ، وتقديم صورة شبه متكاملة عن « قلعة تبوك » ، فأضيف بذلك لبنة إلى صرح الدراسات العلمية الاثرية للمواقع الحضارية التي تحتضنها المملكة العربية السعودية .

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في ظهور هذا البحث منذ أن كان فكرة لقيت التشجيع من :

صاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبدالعزيز ، رئيس مكتب الدراسات الاستراتيجية . وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة ، وصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبدالعزيز ، أمير منطقة تبوك .

كما أزف الشكر إلى معالي مدير جامعة أم القرى الدكتور راشد الراجح وعميد كلية الشريعة فضيلة الدكتور سليمان التويجري ، وسعادة رئيس قسم الحضارة والنظم الإسلامية الدكتور محمد الفعر ، وإلى كل من ساهم في إخراج هذا البحث ، وعلى رأسهم أعضاء هيئة مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية ، التي تحرص على نشر كل ما هو جديد ومفيد في جميع فروع المعرفة .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أهميـــة الموقـــع :

« تبوك » بالفتح ثم الضم ثم واو ساكنة وكاف[1] ، مدينة تقع في شمال غرب الجزيرة العربية ، قرب خط طول (٣٢ ـ ٣٦°) ، ودائرة عرض (٢٣ ـ ٢٨°) شرقا[2] ، في منبسط من الأرض ، تتخلله تلال رملية متحجرة[3] ، وهذه المنطقة تتجمع بها عدة وديان فتشكل حوضا رسوبيا يكثر به الماء[4] .

و « تبوك » حاليا مدينة كبيرة تعتبر قاعدة مدن وقرى المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية .

ويعتبر الاستاذ « موسل »[5] أن ما أورده « بطليموس » عن محلة تعرف باسم « تباوا Tapaua » عند الحدود الشمالية الغربية لبلاد العرب ما هو الا تحريف للفظة « تبوكا Thapaucha » أو تبوك وعليه يرى أن « تبوك » عرفت في المصادر الجغرافية اليونانية القديمة .

وعلى كل فإن « تبوك » اكتسبت أهمية خاصة من المؤرخين والجغرافيين والرحالة في العصر الإسلامي لسببين :

الأول :

أنها من الاماكن التي تشرفت بمقدم سيدنا رسول الله ﷺ اليها ، وذلك عندما غزاها في السنة التاسعة من الهجرة واصبحت منذ ذلك الوقت موضع اهتمام أهل السير والجغرافيين والمؤرخين ، الذين حرصوا على تتبع مراحل غزوة « تبوك »

---

(١) ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ٢ ـ ١٥ .

(٢) The Times Atlas of the world .

(٣) حسب المشاهدة الميدانية .

(٤) سيد عبد المجيد بكر ـ الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ـ ١٩٨ .

(٥) موسل ـ شمال الحجاز ـ ١٤٠ ، وكذلك حمد الجاسر ـ في شمال غرب الجزيرة ـ ٤٣٧ .

وما جرى فيها من أحداث[1] ؛ كاستسلام أهل « وادى القرى » و « دومة الجندل » و « تيماء » واعطائه ﷺ كتاب الامان لأهل « دومة الجندل » ، وفي الجملة خضوع المناطق الشمالية الغربية من الجزيرة العربية للرسول ﷺ ، فضلا عن تتبع المؤرخين للاماكن[2] التي صلى فيها عليه الصلاة والسلام سواء في « تبوك » نفسها أو في الطريق المؤدى اليها من جهة « المدينة المنورة » .

الثاني :

ان « تبوك » اصبحت إحدى منازل الحاج الشامي ، فقد ورد ذكرها في كثير من كتب رحلات الحج ، وكذلك المصادر الجغرافية التي تناولت طرق الحج ومنازله .

واقدم اشارة تدل على انها إحدى محطات طريق الحاج الشامي ما ورد في كتاب « المناسك » للامام « الحربي »[3] ، ثم ذكرها « قدامة ابن جعفر » (ت ٣٣٧ هـ) في كتابة « الخراج »[4] ، كما ذكرها « الاصطخرى »[5] (ت ٣٤٠ هـ) في « المسالك » .

ثم توالى ذكر « تبوك » كمحطة من محطات قافلة الحاج الشامي في كتب رحلات الحج انطلاقا من حرص الرحالة على وصف طريق الحاج وتعيين أماكن الاستراحة التى يتزود منها الحاج بأهم عنصرين في رحلته الطويلة للحج ، وهما : الماء والعشب . مما يؤكد توفر عوامل اتخاذ « تبوك » محطة يستريح بها الحاج ومن يرد عليها كذلك .

أما من حيث توفر الماء ، فمن الثابت أن « تبوك » كانت تحتوى على عين ماء عندما نزلها الرسول ﷺ في غزوته لها في السنة التاسعة من الهجرة ، ولكن هذه

---

(١) انظر تفصيل الغزوة في سيرة ابن هشام - ٢/٥١٥ .

(٢) السمهودى - وفاء الوفا - ٣/٨١٩ - ٨٨٠ .

(٣) الحربي - المناسك - ٦٥٣ - تحقيق حمد الجاسر .

(٤) قدامة بن جعفر - الخراج - ٣٠٩ - تحقيق د . طلال رفاعي .

(٥) الاصطخرى - المسالك - ٢٤ .

العين كانت ضعيفة الماء ثم زادت وجاشت ببركته ﷺ حينما غسل منها يديه ووجهه الشريف[1] ، وقد نضبت هذه العين حاليا ، وهي تقع غرب القلعة موضوع الدراسة[2] .

وإلى جانب « عين تبوك » هناك عدة عيون ذكرها وعددها الاستاذ الجاسر[3] ، وذكر من ضمنها « عين تبوك » التي تعرف كذلك بعين « السكر »[4] .

ومن الملاحظ انه من الصعب تحديد ما إذا كانت عيون ماء « تبوك » قديمة قدم « عين تبوك » ـ التى نضبت حاليا ـ أم لا ، وعلى كل فإن وجود عين ماء في « تبوك » منذ وقت مبكر من أهم عوامل اتخاذها محطة يتزود منها الحاج بالماء .

هذا وقد تغنى الشعراء بماء عين « تبوك » ، الأمر الذى يدل على أهميته بالنسبة للحاج ، روى الجزيرى[5] قول الصلاح الصفدي :

رأيت عين « تبوك » فراحت العين تبكي
والدمع شاهد وجدى ولا أريد مزكي

ومن ناحية أخرى ، لا يخفى أن الماء ضرورى في عملية البناء كذلك مما يؤكد توفر عناصر أنشاء قلعة في هذه المحطة .

أما من حيث توفر العشب ، الذى هو عنصر الحياة الثاني ، خاصة بالنسبة للحاج في رحلته الطويلة للحج ، فقد أورد الاصطخري[6] أن « تبوك » بها نخيل

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ٥/١٢ ، ياقوت ـ معجم البلدان ٢/١٥ .

(٢) لوحة رقم (٢٤) بملحق اللوحات في هذا البحث .

(٣) منها (عين الشيخ رحيل ، عين الشيخ كريم ، عين الختما ، عين المعترضة ، عين رايس) انظر الجاسر ـ في شمال غرب الجزيرة ـ ٤٢٩ .

(٤) بتشديد السّين وكسرها وسكون الكاف بعدها راء .

(٥) الجزيرى ـ درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ٤٦٣ .

(٦) الاصطخرى ـ المرجع السابق ـ ٢٤ .

وحائط ينسب إلى الرسول ﷺ ، كما ورد نفس الوصف عند ياقوت[1] (ت ٦٢٦ هـ) في معجمه ، وأورد البلوى[2] في رحلته للحج سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) أن تبوك بها نخيل وزروع ، وأكد على ذلك الجزيري[3] سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) ، كما فصّل كبريت[4] في رحلته سنة ١٠٣٩ هـ (١٦٢٩ م) أن « تبوك » (بها شجر التوت ومزارع كثيرة على عيون وعريش) .

مما سبق يلاحظ أن « تبوك » كانت مخضرّة منذ وقت مبكر ، حيث اشتملت على البساتين والمزارع التي يحتاج اليها الحاج طلبا لقوته وقوت بهائمه وطلبا لظل وارف بعد طول عناء .

وفي نفس الوقت لا يخفى أهمية توفر الاشجار في عملية البناء لاستخدام عروقها واغصانها في التسقيف ، رتكون عاملا مساعدا في عملية البناء نفسها .

تحصين « تبوك » :

نتيجة لأهمية محطة « تبوك » بالنسبة للحاج الشامي ، ونتيجة لتوفر المواد الخام بها ، اهتم خلفاء وسلاطين الدولة الإسلامية بتحصينها انطلاقا من واجبهم في حماية طرق الحاج بصفة عامة وطريق الحاج الشامي بصفة خاصة .

وأقدم اشارة تدل على تحصين « تبوك » تلك التي أوردها الاصطخري[5] في كتابه « المسالك » ، الا انه لم يحدد شكل هذا التحصين أو موقعه ، كما اورد ياقوت[6] في معجمه أن « تبوك » بها حصن ، الا أنه لم يحدد موقعه أو يصف شكله أيضا .

---

(١) ياقوت ـ المرجع السابق ـ ٢/ ١٥ .
(٢) نقلا عن الجاسر ـ مجلة العرب ـ ٩/ ٧٣٠ السنة الحادية عشرة ١٣٩٧ هـ .
(٣) الجزيرى ـ المرجع السابق ـ ٤٥٦ .
(٤) كبريت ـ رحلة الشتاء والصيف ـ ١٣٣ .
(٥) الاصطخرى ـ المرجع السابق ـ ٢٤ .
(٦) ياقوت ـ المرجع السابق ـ ٢/ ١٥ .

ويبدو أن التحصين الذى أورد ذكره الاصطخرى ثم ياقوت قد تخرّب ، فقد أورد البلوي[1] عن محطة « تبوك » ما نصه « وبلدها اليوم خراب على كل جدار غراب فوردنا البئر المباركة . . » ، وهذا النص في عمومه يدل على أن « تبوك » كانت متخربة المباني ، ولا شك أنه من ضمن ما تخرّب حصن « تبوك » ، يؤكد ذلك ما سجله البغدادي[2] في مراصده عند التحدث عن محطة « تبوك » بما نصه « وكان لها حصن خرب » .

ومن المرجح أن الخراب الذى حلّ بمنشآت محطة « تبوك » ـ ومن ضمنها الحصن ـ حدث في فترة الفوضى الامنية التي استمرت أكثر من قرنين من الزمان في منطقة الشآم وما حولها بسبب الحروب الصليبية وكان من آثار تلك الحروب على قوافل الحاج ؛ أن قافلة الحاج الشامي اصبحت تنضم سنويا إلى قافلة الحاج العراقي . أما طريق الحاج المصرى فتحول من طريق « سيناء » البرى إلى طريق « عيذاب » عبر البحر الأحمر ، واستمر ذلك فترة حددها المقريزي[3] (من أعوام بضع وخمسين واربعمائة إلى اعوام بضع وستين وستمائة) . وبهذا تكون قافلة الحج الشامي قد انقطعت عن محطة « تبوك » مدة تزيد على المئتي عام ، لذا لا يستبعد أن تكون « تبوك » في هذه الفترة شبه مهجورة ، كما لا يستبعد أن معالم الحصن الذى أورد ذكره الاصطخرى وغيره قد ضاعت .

وبعد استقرار الامن في منطقة الشآم وما حولها ، عادت قافلة الحج الشامي تسلك طريقها القديم مارة بمحطة « تبوك » ، ومن الرحالة الذين سلكوا طريق الحاج الشآمي بعد رجوعه ، ابن رشيد الاندلسي سنة ٦٨٤ هـ وابن بطوطه سنة ٧٢٧ هـ ، الا أن أحدا منهما لم يذكر أو يشر إلى أن بمحطة « تبوك » أى تحصين ، ويبدو أن محطة « تبوك » ظلت دون تحصين حتى بنيت قلعة « تبوك » موضوع الدراسة في العصر العثماني .

---

(١) نقلا عن الجاسر ـ مجلة العرب ـ ٩/ ٧٣٠ .

(٢) البغدادى ـ مراصد الاطلاع ـ ١/ ٢٥٣ .

(٣) المقريزى ـ الخطط ـ ١/ ٣٥٦ .

عوامل أنشاء القلعة :

كانت محطة « تبوك » تتوسط طريق الحاج الشامي تقريبا[١] ، ويصف الرحّالة المنطقة الواقعة بين محطة « تبوك » ومحطة « العلا » بأنها صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا شجر ، ما عدا بئر صغيرة لا تكفي الحاج في وادى « الأخضر »[٢] وبركة في « المعظم »[٣] ، وكلى المحطتين السابقتين قد يتوفر بها ماء وقد لا يتوفر ، أشار إلى ذلك الجزيرى[٤] في درره .

ومما قيل في وصف هذه المسافة الجافة :

قد جعل الله من تبوك إلى العلا للورى مفازة
راكب تلك الطريق عندى كأنه راكب الجنازة
لكن لطف الاله اضحى لزائر المصطفى اجازة[٥]

لذا حرص ركب الحاج الشامي على اتخاذ « تبوك » محطة يتزود منها بالماء ليستطيع قطع المسافة من « تبوك » إلى « العلا » التى قدّرها البعض باثنتي عشرة مرحلة[٦] ، ومن ثم كان لا بد من تحصين « تبوك » وعمل قلعة تحمي موارد الماء فيها ، وبذلك يطمئن الحاج الشامي على توفر الماء في هذه المرحلة .

ومما يؤكد الفكرة السابقة أن بعض العرب القاطنين على طريق الحاج الشامي بالقرب من « تبوك » كانوا يتلفون موارد الماء عندما يريدون قطع الطريق على ركب الحاج الشامي أو الانتقام منه ، ففي سنة ٩٣٧ هـ (١٣٣٨ م) اعترض بعض العرب ركب الحاج الشامي ، ولكن العسكر المرافقين لقافلة

---

(١) الاصطخرى - المرجع السابق - ٢٤ .
(٢) كبريت - المرجع السابق - ١٣٣ .
(٣) الجزيرى - المرجع السابق - ٤٥٨ .
(٤) نفس المرجع السابق - نفس الصفحة .
(٥) نفس المرجع السابق - ٤٥٧ ، ٤٥٨ .
(٦) المرحلة : هى المسافة التي يقطعها المسافر في يوم واحد ، وتقدر بنحو ثلاثين أو خمسة وثلاثين كيلا . د . محمد محمود محمدين التراث الجغرافي الإسلامي - ٤٥٩ - ط ٢ .

الحجاج استطاعوا صدهم ، فعزم العرب على الانتقام من الركب وحرسه بأن القوا الاشجار في بركة « تبوك »[1] .

ويذكر « الجزيرى »[2] سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) أن « تبوك » كان يقام بها سوق للحاج ، ويعمل بها احتفال يحمل فيه السلاح وتسل السيوف وتهز الرماح وتنشر الاعلام ، وهذه الاحتفالات تكون عادة عرضة لهجوم الاعراب فلا بد من قوة دائمة تهيء الراحة لاستقبال ركب الحاج فضلا عن حماية موارد الماء[3] ونشر الامن في « تبوك » ، وهذه القوة تحتاج إلى قلعة تحتمي بها من الاخطار لتقوم بواجبها خير قيام .

وبهذا يمكن حصر عوامل أنشاء قلعة « تبوك » في خدمة الحاج الشامي ، يتمثل ذلك في حماية موارد الماء وتقديم الخدمات لركب الحاج باقامة الأسواق وحمايتها .

تاريـــخ البنـــاء :

مرّ على بناء قلعة « تبوك » عدة ترميمات وتجديدات بعد البناء الأصلي لها ، وقد أمكن الكشف عن تلك الترميمات والتجديدات من خلال الفحص الميداني لبناء القلعة القائم حاليا ، بالإضافة إلى قراءة الكتابات المثبتة على جدران القلعة من الداخل والخارج ، فضلا عما ورد في المصادر من معلومات عن القلعة ذاتها ، وقد اتضح من ذلك كله ما يلي :

أولا :

في شهر ذى القعدة من عام ٩٦٧ هـ (١٥٥٩ م) صدر أمر من السلطان سليمان القانوني إلى واليه في دمشق ببناء قلعة في محطة « تبوك »[4] ، أكد على ذلك

---

(١) نوفان الحمود ـ العسكر في بلاد الشآم ـ ١٠١ ـ نقلا عن ابن جمعه الباشات والقضاة ـ ١١ ـ ١٢ .

(٢) الجزيرى ـ المرجع السابق ـ ٤٥٦ .

(٣) القرماني ـ اخبار الدول ـ ٤٤٠ .

(٤) نجم الدين الغزّى ـ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ١٥٧/٣ ـ تحقيق د . جبرائيل سليمان جبور .

من المؤرخين المعاصرين أبو العباس أحمد ابن يوسف الدمشقي الشهير بالقرماني[1] ، كما ذكر ذلك كبريت[2] في رحلته للحج سنة ١٠٣٩ هـ ، وتاريخ هذا البناء ربما يكون مسجلا على لوح حجرى مثبت على جدران القلعة ، شأنه شأن معظم العمائر العثمانية ، وربما اختفى هذا التاريخ تحت اللوحات القاشانية التي تؤرخ تجديد وعمارة بناء القلعة كما سيأتي .

ثانيا :

يعلو بوابة قلعة « تبوك » في البناء القائم حاليا كتابة تذكارية تفيد بتجديد وتعمير بناء القلعة سنة ١٠٦٤ هـ (١٦٥٣ م) ، أى بعد سبعة وتسعين عاما من البناء التأسيسي للقلعة ، وهذه المدة لا شك أنها كافية لعمل ترميمات للقلعة ، ويبدو أن الترميمات التي أجريت على القلعة كانت من الأهمية والضخامة بأن استدعت وضع كتابة تذكارية[3] ضخمة أعلى بوابة المدخل تؤرخ هذا التجديد .

ثالثا :

يعلو محراب مسجد القلعة الذي يقع في الطابق الثاني منها[4] في البناء القائم حاليا كتابة تذكارية تفيد بتجديد وتعمير قلعة « تبوك » بأمر السلطان عبد المجيد خان بن محمود[5] ، وتم ذلك في اليوم الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) ، أى بعد مرور مئة وستة وتسعين عاما على الترميم الأول ، ولا شك أنه ترميم ضخم استدعى وضع لوحة تذكارية .

أما عن تثبيت هذا النص في مسجد القلعة الواقع في الطابق الثاني منها كما سبق بيانه ، فأنه ربما يرجع لشمول هذا الترميم الطابق الثاني من القلعة فقط .

---

(١) القرماني - المرجع السابق - ٤٤٠ .
(٢) كبريت - المرجع السابق - ١٣٣ .
(٣) انظر الدراسة الخاصة بالكتابات في هذا البحث .
(٤) انظر الوصف (ص ١٧) من هذا البحث .
(٥) حكمه ١٢٥٥ - ١٢٧٨ هـ ١٨٣٩ - ١٨٦١ م .

رابعـا :

أورد فلبي[1] عند زيارته لقلعة « تبوك » سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) ، أن (البنائين المحليين عاكفون على ترميم الجدران الخارجية من أجل اعدادها لتكون مركزا صالحا للشرطة) ، ومن الواضح أن هذا الترميم تمّ في عهد الدولة السعودية ، ولم يؤرخ له .

والجدير ذكره أن ترميم سنة ١٠٦٤ هـ ، وترميم سنة ١٢٦٠ هـ ، رغم ضخامتهما فأنهما لم يغيرا من تخطيط القلعة الأصلي الذى تم عام ٩٦٧ هـ ، فجميع جدران القلعة الخارجية وتقسيماتها الداخلية محكمةالاتصال ومبنيّة بالحجر المنحوت ، أما الترميم الذى أشار اليه فلبي والذى سبق بيانه ، فقد أدخل على التخطيط الأصلي إضافات ستذكر في مواضع الوصف العام للقلعة ، وتتصف هذه الإضافات بالبناء باللبن على وجه العموم .

وصف المبنى :

يأخذ تخطيط مبنى قلعة « تبوك » القائم حاليا الشكل المربع طوله ضلعه من الخارج (٢٣,٣٠ م) ، وزوايا هذا التخطيط قائمة في الاركان الاربعة للمبنى[2] .

ويتوسط مدخل القلعة السور الشمالي باتساع (٢,٩٠ م) ، ويحتوى المدخل على عقدين : الأول كبير مدبب على هيئة حدوة الفرس ، والعقد الثاني موتور يعلو فتحة الباب داخل العقد الأول . ويحف بالباب من الخارج مصطبتان صغيرتان ترتفعان عن أرضية المدخل بمقدار (٥٠ سم) وعرضها (٦٠ سم) ، ويحضر عقدي الباب اللوحة التذكارية لتجديد القلعة[3] .

---

(١) فلبي - أرض الانبياء - ١٦٤ .

(٢) شكل رقم (١) لوحة رقم (٢،٣،٤) بملحق اللوحات في هذا البحث .

(٣) شكل رقم (١) لوحة رقم (١،٢) بملحق اللوحات في هذا البحث .

ومبنى القلعة في مجموعه يتكون من ثلاثة طوابق تخطيطها عبارة عن فناء مكشوف في الوسط تحيط به الحجرات ومنافعها من الجهات الأربع .

ويفضي باب القلعة إلى دهليز مساحته (٤,١٠ م × ٤,١٠ م) ، سقف بقبو متقاطع ، ويحتوي الدهليز على مصطبتين على يمين الداخل وفي مواجهته[١] .

ويلتفت الداخل نحو اليسار ليجتاز الممر الثاني ومساحته (٤,١٠ م × ٣,٣٠ م) للدخول إلى فناء القلعة ، وسّقف هذا الممر بقبو متقاطع أيضا ويحتوى هذا الممر على مصطبة في الجدار الشمالي منه[٢] .

وفناء القلعة مستطيل الشكل مساحته (١٠ م×١٧ م) ، وتتوسطه تقريبا بئر القلعة[٣] ، وفوهتها مبنية بالحجر على هيئة مربعة مساحتها (٩٥ سم×٥٩ سم) ، ويلاصق فوهة البئر حوض للماء حفر في قطعة واحدة من الحجر مساحته (١,٣٠ م×٠,٨٠ م)[٤] .

وعلى يسار الداخل إلى فناء القلعة حجرة مربعة مساحتها (٤,١٠ م × ٤,١٠ م) ، سقفت بقبو مدبب ، بابها يفتح على فناء القلعة بمقدار (١ م) ، ويعلو الباب فتحة مستطيلة للانارة والتهوية مساحتها (٤٠ سم×٧٠ سم)[٥] .

أما على يمين الداخل إلى فناء القلعة فتوجد حجرتان متجاورتان الأولى : مساحتها (٣,٢٠ م × ٤,١٠ م) سقفت بقبو نصف دائرى بابها يفتح على فناء القلعة بمقدار (١ م) ، وعلى جزء من جدارها الجنوبي جدار بني باللبن ، مما يدل على أنه مضاف في أحد الترميمات التي اجريت على القلعة[٦] .

---

(١) لوحة رقم (٥،٦،٧) بملحق اللوحات في هذا البحث .

(٢) لوحة رقم (٧) بملحق اللوحات في هذا البحث .

(٣) وصفها النابلسي بقوله (انها بئر عذبة يخرج منها الماء بالدواب إلى خارج القلعة) انظر النابلسي ـ الحقيقة والمجاز ـ ١ ـ لوحة ٣٥٥ .

(٤) شكل رقم (١) لوحة رقم (٢١) في هذا البحث .

(٥) شكل رقم (١) لوحة رقم (١٣) في هذا البحث .

(٦) لوحة رقم (١٧) في هذا البحث .

أما الحجرة الثانية فمساحتها (٢,٦٠ م × ٤,١٠ م) ، ومدخلها من تحت السلم الصاعد إلى الطابق العلوى الأول ، وليست لها نوافذ مما يدل على أنها استخدمت مخزنا أو سجنا للقلعة .

والضلعان الشرقي والغربي داخل القلعة لا يحتويان على حجرات فالضلع الشرقي به دعامة تبرز عن السور بمقدار (٠,٧٠ م) ، وعرضها (١,٣٥ م) ، يرتكز عليها عقدان على شكل نصف دائرى يحملان ممر السور وتدعم السور من الداخل[١] .

أما الضلع الغربي فيحتوى على دخلتين عميقتين ، عمق الواحدة منها (٢,٦٠ م) سقفتا بعقدين موتورين ، الأولى من جهة الشمال اتساعها (٥,٦٠ م) حفر في جدارها الغربي ما يشبه الفرن ، أما الثانية فاتساعها (٤,١٠ م) بني بداخلها ثلاثة مراحيض من المعتقد أنها اضيفت في ترميم سنة ١٣٧٠ هـ[٢] .

أما الضلع الجنوبي فيحتوى على مجموعة من الحجرات يتوسطها ايوان مربع المساحة (٤,١٠ م × ٤,١٠ م) ، سقف بقبو مدبب ، ويفتح بكامل ضلعه على فناء القلعة في البناء الأصلي[٣] ، وقد اضيف عليه جدار من اللبن عند مدخله في ترميم سنة ١٣٧٠ هـ ، ويذكر الخيارى[٤] أن هذا الايوان استخدم مسجداً للقلعة في شهور الشتاء ، أما فلبي[٥] فيذكر أن هذا الايوان استخدم مقراً لقائد شرطة المنطقة وفيها يستقبل ضيوفه .

وعلى يمين الايوان السابق حجرتان متجاورتان ، الأولى مساحتها (٢,٨٠ م × ٤,١٠ م) ، سقفت بقبو مدبب ، ويفتح بابها على فناء القلعة بمقدار (١ م) ، ويعلو الباب فتحة للانارة والتهوية[٦] .

---

(١) شكل رقم (١) لوحة رقم (١٤،١٦) بالملاحق في هذا البحث .

(٢) لوحة رقم (٨،١٤) بالملاحق في هذا البحث .

(٣) لوحة رقم (١١) بالملاحق في هذا البحث .

(٤) الجاسر - في شمال غرب الجزيرة نقلا عن الخيارى - ٤٤٢ .

(٥) فلبي - المرجع السابق - ١٦٤ .

(٦) لوحة رقم (١٤) بملحق اللوحات في هذا البحث .

أما الحجرة الثانية فمساحتها (٢,٦٠ م × ٤,١٠ م) ، ويفتح بابها على فناء القلعة بمقدار (١ م) ، وسقفت هذه الحجرة بقبو مدبب[١] .

وعلى يسار الايوان ثلاث حجرات ؛ الأولى من جهة الايوان مساحتها (٢,٣٠ م × ٤,١٠ م) يفتح بابها على فناء القلعة بمقدار (١ م) ويعلو الباب فتحة للانارة والتهوية ، أما الحجرة الثانية فمساحتها (١,٦٠ م × ٤,١٠ م) ولها باب يشبه باب الحجرة الأولى ، أما الحجرة الثالثة فمساحتها (٢,١٠ م × ٤,١٠ م) ، تفتح على دخلة الجدار الغربي بباب يتسع بمقدار (١ م) وليس لها فتحة أنارة[٢] .

وتبلغ جميع ارتفاعات حجرات ومشتملات الطابق الأرضي في جميع الأضلاع (٤ م)[٣] .

هذا وقد ذكر فلبي[٤] عند زيارته للقلعة عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) ، أن حجرات الطابق الأرضي استخدمت مكاتب لأدارة الشرطة .

ويصعد إلى الطابق الأول بواسطة سلم واحد يقع في الركن الشمالي الغربي من فناء القلعة كما سبق بيانه ، ويتكون هذا السلم من ثلاث عشرة درجة ، وكل درجة مساحتها (١,٢٠ م × ٠,٣٠ م) وارتفاعها (٢٥ سم) .

ويؤدى السلم إلى ممرات الطابق الأول التي بواسطتها يمكن الدخول إلى حجرات الطابق العلوى الأول ، وعرض هذه الممرات : في الضلع الشمالي (٢ م) ، والجنوبي (٢ م) ، والشرقي (١,٥٠ م) والغربي (٣,٧٠ م)[٥] .

وتوزعت غرف الطابق العلوى الأول في الضلعين الشمالي والجنوبي وهي تتشابه من حيث العناصر الانشائية ، حيث تشتمل كل واحدة منها على باب يفتح

---

(١) لوحة رقم (١٤) بملحق اللوحات في هذا البحث .
(٢) لوحة رقم (١٢) بملحق اللوحات في هذا البحث .
(٣) شكل رقم (٤، ٥، ٦، ٧) بملحق الاشكال في هذا البحث .
(٤) فلبي - المرجع السابق - ١٦٤ .
(٥) شكل رقم (٢) بملحق الاشكال في هذا البحث .

على الممر ، ويعلو باب كل غرفة فتحة للتهوية مساحتها (٦٠ سم × ٦٠ سم) ، وفي الجدار المقابل لباب كل حجرة فتحة للتهوية والانارة ، تتسع من الداخل بمقدار (٦٠ سم) ، وتأخذ في التدرج في الضيق حتى تظهر الفتحة من الخارج على هيئة شق طولي مساحته (٢٠ سم × ٦٠ سم)[١] .

أما من حيث المساحة ، فأول غرف الطابق العلوى الأولى في الضلع الشمالي من ناحية الشرق مساحتها (٣,٥٠ م × ٢,٥٠ م) ، والثانية مساحتها (٣,٣٠ م × ٢,٢٠ م) ، والثالثة مساحتها (٣,٥٠ م × ٢,٤٠ م) ، والرابعة مساحتها (٣,٥٠ م × ٣,٥٠ م) ، والخامسة مساحتها (٣,٥٠ م × ٢,٢٠ م) ، والسادسة مساحتها (٣,٥٠ م × ٢,٤٠ م) ، والسابعة مساحتها (٣,٥٠ م × ٢,٥٠ م)[٢] .

أما غرف الطابق العلوى الأول في الضلع الجنوبي ؛ فالأولى من ناحية الشرق مساحتها (٣,٥٠ × ٢,٢٠ م) ، والثانية مساحتها (٣,٥٠ × ٢,٢٠ م) ، والثالثة مساحتها (٣,٥٠ م × ٢,٢٠ م) ، والرابعة مساحتها (٣,٥٠ م × ٤ م) ، والخامسة مساحتها (٣,٥٠ م × ٣,٥٠ م) ، والسادسة مساحتها (٣,٥٠ م × ٤,٢٠ م) .

وجميع غرف الطابق العلوى الأول بنيت بالحجر المنحوت ، وبلغ سمك الحوائط الفاصلة بين الغرف (٦٠ سم) ، وسقفت جميع الغرف بسقوف مسطحة .

وشكل غرف الطابق العلوى الأول يوحي بأنها استخدمت لاقامة الجنود ، وقد نص على ذلك فلبي[٣] ، أما الغرفة الرابعة التي تتوسط غرف الضلع الجنوبي في الطابق العلوى من القلعة فقد استخدمت مسجداً وتحتوى حاليا على محراب ، ويذكر الخياري[٤] أن هذا المسجد يستخدم في الصيف .

---

(١) شكل رقم (٢) بملحق الاشكال في هذا البحث .

(٢) لوحة رقم (١٨ ، ١٩) بملحق اللوحات في هذا البحث .

(٣) فلبي - المرجع السابق - ١٦٤ .

(٤) الجاسر نقلا عن الخيارى - في شمال غرب الجزيرة - ٤٤٢ .

أما الأسوار في الضلعين الشرقي والغربي من الطابق الأول من القلعة فقد فتحت بها ثلاث فتحات في الضلع الشرقي تستخدم للرمي بالبندق[١] ، وأربع فتحات في الضلع الغربي للرمي منها بالمدافع[٢] .

كما تحتوى الأسوار في كل من الضلعين الشرقي والغربي في الطابق العلوى الأول على ثلاثة سلالم للصعود إلى الطابق العلوى الثاني : الأول يقع في الضلع الشرقي عند الغرفة الشمالية الشرقية[٣] ، وسلمين في الضلع الغربي : الأول عند الغرفة الشمالية الغربية ، والثاني عند الغرفة الجنوبية الغربية ، والسلالم الثلاث يصعد اليها من ممرات الطابق الثاني[٤] ، وتؤدي السلالم السابق ذكرها إلى الطابق العلوي الثاني من القلعة .

ومحتويات الطابق الثاني عبارة عن أربعة غرف : ثلاث تقع في الضلع الشمالي تفتح على بعضها : الأولى من الجهة الشمالية الغربية مساحتها (٣,٥٠ × ٣,١٠ م) ، لها باب يفتح على ممر السور بمقدار (١ م) ، ولها باب آخر يتسع بمقدار (٨٠ سم) يفتح على غرفة ثانية مساحتها (٣,٨٠ م × ٣,١٠ م) ، لها نافذتان : الأولى تطل على خارج القلعة ، والثانية في الجدار الجنوبي تطل على فناء القلعة ، وهذه الغرفة لها باب في جدارها الشرقي يفتح على الغرفة الثالثة التي يبلغ مساحتها (٤,٥٠ م × ٣,١٠ م) ، وهذه الغرفة لها نوافذ مثل نوافذ الغرفة الأولى ، ولها باب يتسع بمقدار (٨٠ سم) يفتح على ممر السور .

والغرف الثلاث بنيت بالحجر المهذب ، ويظهر أن الأجزاء العليا منها مضافة على البناء لأنها بنيت باللبن ، وفتحت بها مزاغل ، كما سقفت الغرف الثلاث بسقف مسطح ، ويبلغ سمك جدران الغرف الثلاث (٦٠ سم) ويبدو أن هذه الغرف استخدمت لسكنى الجنود[٥] .

---

(١) لوحة رقم (١٦) في هذا البحث .
(٢) لوحة رقم (٨) في هذا البحث .
(٣) شكل رقم (٢) لوحة رقم (١٣) في هذا البحث .
(٤) شكل رقم (٢) لوحة رقم (١٨،٨) في هذا البحث .
(٥) شكل رقم (٣) لوحة رقم (١٨) في هذا البحث .

أما الغرفة الرابعة فتقع في الركن الجنوبي الغربي ، مساحتها (٣,٥٠ × ٣,٦٠ م) ، لها باب يتسع بمقدار (٨٠ سم) ، ويبلغ سمك جدارها (٥٠ سم) ، ولها نافذتان تتسع بمقدار (٨٠ سم) ؛ الأولى في الجدار الجنوبي والثانية في الجدار الغربي ، وفتحت في جدراهها مزاغل[١] .

ويبدو أن هذه الغرفة مضافة على البناء ، فقد بنيت جدرانها باللبن كما يبدو أيضا أنها استخدمت مرقبا للقلعة يظهر ذلك من شكلها الخارجي[٢] ، ومن موقعها في الجزء الجنوبي الغربي من تخطيط القلعة الذى يشرف على العين والبركة الواقعة غرب القلعة ، وقد نصّ فلبي[٣] على أنها استخدمت للمراقبة .

---

(١) شكل رقم (٣) لوحة رقم (٤) في هذا البحث .

(٢) لوحة رقم (٤) في هذا البحث .

(٣) فلبي ـ المرجع السابق ـ ١٦٤ .

الكتابات التذكارية والزخارف :

تحتوى قلعة « تبوك » القائمة جدرانها على نصّين أثريين **النص الأول**[1] :

مثبّت أعلى بوابة القلعة ، ويتكون من ثمانية سطور نصها :

١ ـ أمر بتجديد وتعمير هذه القلعة المباركة
٢ ـ حضرة مولانا السلطان ابن السلطان
٣ ـ السلطان محمد خان ابن السـ (ـلطان)[2] ابراهيم
٤ ـ خان بن السلطان ا (حمد خان ابن)[3]
٥ ـ عثمان خلد الله مـ (ـلكه طول[4]) الزمان
٦ ـ وتشرف بمباشرة خدمتها العبد (الفقـ) ـير
٧ ـ الى الله تعالى محمد ابن النـ (ـاشف[6] التذكر) جي بدمشق
٨ ـ الشام غفر الله له في سنة اربع وستين والف ١٠٦٤ هـ

---

(١) قام بنشره د . محمد الفعر في رسالته للدكتوراه غير المنشورة من جامعة أم القرى ـ ص ٥١١ ، ووصف نشره للنص بأنه ينشر لأول مرة ، والواقع أن هذا النص قد سجله الخيارى المدني في تحفة الادباء سنة ١٠٨٠ هـ ، ثم قام بنشره الضابط سويله مز اوغلي سنة ١٣١٠ هـ في كتابه « حجاز سيا حتنامه سي » لوحه ١٣٥ ، كما قام بنشره سنت جون فلبي سنة ١٣٧٠ هـ في كتابه « أرض الانبياء » ص ١٦٣ .

(٢) أكمل النص حسب السياق .

(٣) أكمل النص حسب جدول سلاطين آل عثمان وانسابهم ، انظر محمد فريد ـ تاريخ الدولة العلية ـ ٢٨٩ .

(٤) أكمل النص حسب ما هو متعارف عليه في نصوص تجديد القلاع العثمانية .

(٥) أكمل النص حسب السياق .

(٦) أكمل النص من تحفة الأدباء للخيارى المدني ـ ١/٧٣ ، وقد أكمل د . الفعر هذا السطر باجتهاد شخصي فذكر الاسم (محمد ابن الناظر السروجي) انظر د . محمد الفعر ـ المرجع السابق ـ ٥١٢ .

وهذا النص[1] له أهميته من حيث المضمون والشكل :

فمن حيث المضمون ، يوضح لنا أن القلعة أجرى عليها (تجديد وتعمير) كما ورد في السطر الأول من النص[2] . كما يوضح النص أن هذا التجديد والتعمير كان بأمر السلطان محمد خان الرابع بن ابراهيم الأول (١٠٥٨ - ١٠٩٩ هـ ١٦٤٨ - ١٦٨٧ م) ، كما ورد في كل من السطر الأول والثالث والرابع من النص .

ويفيد النص بأن الذى قام بالاشراف على هذا التجديد والتعمير هو محمد ابن الناشف التذكرجي[3] من دمشق ، وفي هذا دلالة على ارتباط أمور القلعة بولاية دمشق على اعتبار انها أحدى قلاع طريق الحج الشامي .

أما تاريخ هذا التجديد فقد كان سنة ١٠٦٤ هـ[4] (١٦٥٣ م) .

أما من حيث الشكل ، فالنص كتب على تربيعات من القاشاني ، مساحة التربيعة الواحدة (٢٥ سم × ٢٥ سم) ، وكل سطر كتب على اربع تربيعات منها

---

(١) لوحة رقم (١) بملحق اللوحات في هذا البحث .

(٢) على الرغم من وضوح النص في انه نص تجديد وتعمير لقلعة « تبوك » الا أن معظم الذين قاموا بنشر هذا النص يؤكدون على انه نص تأسيس ، ويحتمل أن أول من وقع في هذا الوهم فلبي - المرجع السابق ، بما نصه (ان القلعة القائمة بنيت على التحقيق سنة ١٠٦٤ هـ) ثم نقل عنه الجاسر رغم مشاهدته الميدانية للنص في كتابه « في شمال غرب الجزيرة » - ٤٣٢ - ٤٣٣ ، بما نصه (قلعة تبوك انشئت في العهد التركي سنة ١٠٦٤ هـ) ، كما وقع د . محمد الفعر في هذا الوهم حيث أورد انه (نص تأسيس) - المرجع السابق - ٥١١ .

(٣) محمد بن محمود الشهير بابن الناشف الدمشقي ، ولد سنة ١٠٠٧ هـ ١٥٩٨ م ، واصبح أحد الاعيان وكاتبا للجند الشامي ، وارسلته الدولة في بعض المهمات وتولى خدمة التذاكر المتعلقة بالزعماء وارباب التيمارات ، وصارت له كلمة نافذة واعطي قرى ومزارع وتيمارات وجمع الكثير من الكتب النفيسة والخيول والامتعة ، توفي سنة ١٠٧٤ هـ ١٦٦٣ م . انظر المحبي - خلاصة الاثر - ٤ - ٢١٤ - ٢١٥ . وكذلك نوفان رجا الحمود - العسكر في بلاد الشام - حاشية ص ٥٠ .

(٤) قرأ سويله مز اوغلي في كتابه « حجاز سياحتنامه سي » تاريخ التجديد (١٠٦٣ هـ) وهو خطأ ، والسبب أن الرقم (٤) كتب هكذا (٩) .

وإذا وضعت إلى جوار بعضها ظهر السطر واضحا ، ولا تظهر فواصل التربيعات الا بتحقيق النظر فيها . ومساحة التربيعات التى كتب عليها النص (٢ م × ١ م)[١] .

ويلاحظ أن السطر الأخير (الثامن) أضيفت عليه لوحة قاشانية ذات أرضية بيضاء كتب عليها تاريخ التجديد باللون الازرق ارقاما[٢] .

والجدير بالملاحظة أن كتابة النص على تربيعات من القاشاني أسلوب جديد في التوثيق يظهر في قلعة « تبوك » ، حيث أنه لم يسبق ظهوره في توثيق المباني الحربية العثمانية على وجه العموم ، فالمألوف أن اللوحات التأسيسية في معظم العمائر العثمانية تكتب عادة على الواح من الرخام الأبيض ويحفر فيها النص حفراً بارزاً ، نلاحظ ذلك في كثير من المساجد والجوامع وبقية أنواع العمائر العثمانية ، سواء في تركيا أو الولايات التابعة لها .

ويرجع تفضيل هذا الأسلوب لكونه أكثر بقاءا من أى أسلوب آخر فالرخام معروف بقوته ومقاومته للأحوال الجوية ، أما أسلوب التوثيق بكتابة النص على لوحات من القاشاني الملون فهو أقل مقاومة للزمن ، وعرضة للتلف . وربما كان استخدام القاشاني في لوحة قلعة « تبوك » كان بقصد السرعة في الانجاز فالكتابة على التربيعات القاشانية قد لا تستغرق من الصانع أكثر من يومين على الأكثر ، في حين أنه لو استخدم الحفر على الرخام لتطلب ذلك وقتا طويلا .

وتوثيق المباني باستخدام لوحات القاشاني أسلوب أقل مقاومة لتقلبات الجو كما سبق بيانه ، ولكنه في نفس الوقت أكثر جمالا وتقدما من الناحية الصناعية والفنية ، لذا نجد أن الأتراك العثمانيين استخدموا الواح القاشاني لتجميل

---

(١) أورد د . الفعر أن مساحة النص (١٦٨ × ٩٣ سم) ـ المرجع السابق ص ٥١١ .
(٢) لوحة رقم (١) في ملحق اللوحات في هذا البحث .

الجدران الداخلية لعمائرهم ، وخاصة الجوامع[١] ، كما كثر استخدامه في تكسية الجدران الداخلية للاضرحة[٢] ، ولكن استخدامهم للوحات القاشاني في كتابة نصوص توثيق المباني قليل جدا بل يندر استخدامه في توثيق المباني الحربية ، إذا استثنينا نص تجديد قلعة « تبوك » . ولكن هناك أمثلة تثبت استخدامهم هذا الأسلوب في توثيق بعض العمائر ؛ فهناك نص توثيقي لأحد الجوامع من عهد السلطان سليم الأول في استانبول مؤرخ سنة ٩٢٩ هـ (١٥٢٢ م) كتب على تربيعات من الواح القاشاني[٣] ، ثم ظهر هذا الاسلوب في التوثيق في سوريا في جامع « سنان باشا » بدمشق فقد كتب تاريخ انشاء الجامع ٩٩٩ هـ (١٥٩٠ م) واسم الباني على قاشاني أبيض ، وكتب النص باللون الأسود بخط نسخي[٤] ، كما ظهر هذا الأسلوب في العراق في كتابة أثرية بلغة تركية أهديت باسم والدة السلطان عبد المجيد[٥] خان لتجديد واعمار مسجد وقباب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان[٦] .

وعلى ذلك يمكن القول بأن استخدام لوحات القاشاني في توثيق العمائر أسلوب عرف في العصر العثماني في الاناضول ، وانتقل إلى الشام والعراق في توثيق العمائر الدينية ، وظهوره في توثيق تجديد قلعة « تبوك » سنة ١٠٦٤ هـ حالة نادرة قد تكون متأثرة بما عرف في الشام وتركيا والعراق .

أما الألوان التي استخدمت في قاشاني نص تجديد قلعة « تبوك » فتنحصر في اللون الازرق الفاتح القريب من الأبيض ، وهو اللون الغالب حيث استعمل في

---

(1) Tahsin Oz, Istanbul Camileri, C1,2, Lawheler. ve Oktay Aslanapa, Turk Sanati, S233, 265.

(2) Ekrem Hakki Ayverdi, Osmanli Mimarisinde, Celebi ve II sultan Murad Devri. C 2 , S 109, 115, Istanbul 1972.

(٣) ناجي زين الدين - مصور الخط العربي - شكل رقم (١١١) .

(٤) أحمد فائز الحمصي - روائع من العمارة العربية الإسلامية في سوريا - ٥٤ .

(٥) حكمه ١٢٥٥ - ١٢٧٨ هـ (١٨٣٩ - ١٨٦١ م) .

(٦) ناجي زين الدين - المرجع السابق - شكل ٧٠ .

أرضية اللوحات القاشانية ، أما الحروف الكتابية فهي ذات لون أزرق داكن قريب إلى اللون الفيروزى ، وكذلك الاطار الذى يحيط بكل سطر[١] .

واما عن نوع الخط الذى كتب به النص فهو من نوع الثلث[٢] ، ومستواه دون الجيد بكثير إذا ما قورن[٣] بما وصل اليه خط الثلث في هذه الفترة (١٠٦٤ هـ) في استانبول .

النص الثاني :

يقع فوق محراب مسجد قلعة « تبوك » الواقع في الطابق الثاني من القلعة . وقد تم اكتشافه بعد إزالة الطبقة الجصيّة التي كانت تخفيه والتي ربما أضيفت على النص في أحد الترميمات ، وقد دلّ عليه وجود شقوق واخاديد صغيرة في الجدار دلت على وجود قطع من الرخام وهذا مخالف لنوع الحجر المستخدم في بناء جدران المسجد ، وبعد إزالة طبقة الجص ظهر لوح من الرخام الابيض مساحته (٤٥ سم × ٦٥ سم) حفر فيه النص الآتي[٤] :

١ ـ الفاتحة

٢ ـ امر بتجديد وتعمير هذه القلعة المباركة

٣ ـ مولانا السلطان عبد المجيد خان بن السلطان

٤ ـ محمود خان خلاصة آل عثمان خلد الله

---

(١) لوحة رقم (١) بملحق اللوحات في هذا البحث ، وذكر د . محمد الفعر المرجع السابق ـ ٥١١ ، أن انصاف الدوائر عملت بلون ازرق فاتح والزخارف باللون الاسود ، علما بأنه لم يستخدم اللون الاسود في هذه اللوحة .

(٢) وصف د . محمد الفعر هذا النص بأنه (نموذجا واضحا للخط الجلي العثماني سواء من حيث اسلوب الخط أو توزيع الكلمات والحروف) ـ المرجع السابق ـ ٥١١ ، والمعروف انه لا يوجد نوع من الخط يطلق عليه « جلي » فالجلي اسلوب كتابة وليس نوعا من أنواع الخطوط العربية ، فهناك ديواني جلي ، وثلث جلي . . . وهكذا ، الباحث .

(3) Mehmud Bedreddin Yazir, C1, Yazi ve Kalem Guzeli, resiler, S 105 — 119, Ankara 1972.

(٤) ينشر هذا النص لأول مرة ، لوحة رقم (٢٠) بملحق اللوحات .

٥ ـ ملكهم وتشرف بمباشرة عمارتها الحاج ابراهيم
٦ ـ ادهم قبرصلي تحريرا في ٢٢ ذا لحجة
٧ ـ وضباشيها من سنة ١٢٦٠ اوضباشي
٨ ـ ابي عباس الامباشي

ويتضمن النص السابق تجديد وتعمير قلعة « تبوك » في عهد السلطان عبد المجيد محمود[١] ، وتم ذلك في الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) كما سبق بيانه ، واشرف على تجديد وتعمير القلعة (الحاج ابراهيم ادهم قبرصلي) كما ورد في السطرين الخامس والسادس من النص ، يساعده في ذلك اوضباشي عساكر القلعة (ابي عباس الامباشي) .

ومما يلفت النظر في هذا النص ورود كلمة (الفاتحة) في السطر الأول وهي كلمة تدل على قراءة سورة الفاتحة للتبرك بها ولحصول الأجر لقارئها ، وربما وضعت في بداية النص لوقوعه في مسجد القلعة .

وافتتاح نص التجديد بكلمة (الفاتحة) أسلوب جديد لم يسبق ظهوره في الكتابات التوثيقية في القلاع العثمانية ، ولكن يلاحظ هذا الأسلوب في افتتاحيات شواهد القبور خاصة في العصر العثماني ، وربما كتبت في هذا النص لتعلقها بقلعة « تبوك » إحدى قلاع طريق الحاج الشامي التي تقوم بخدمة حجاج بيت الله الحرام في ذاك الطريق .

وأما من حيث الشكل فالنص حفر في لوح من الرخام الأبيض حفرا قليل الغور واستعمل كاتب النص نوعين من الخط (نسخ وثلث) معا ، مما يدل على عدم المامه بفن الخط ومستوى الخط دون الجيد بكثير .

أما من ناحية الزخارف ، فالقلعة في بنائها الحالي خالية من الزخارف ولكن هناك نص أورده فلبي[٢] ، جاء فيه (كما أن جدرانها مزينة بنقوش تمثل مختلف أنواع الحيوانات الصحراوية) ا هـ . وليس من شك في ان النقوش قد أضيفت إلى القلعة بعد انشائها .

---

(١) حكمه ١٢٥٥ ـ ١٢٧٨ هـ ١٨٣٩ ـ ١٨٦١ م .
(٢) فلبي ـ المرجع السابق ـ ١٦٤ .

العناصر المعمارية :

اشتملت قلعة « تبوك » على العديد من العناصر المعمارية ، شأنها شأن قلاع المنطقة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية . وبتحليل تلك العناصر ومقارنتها ببقية القلاع يمكن تحديد ميزة كل عنصر نفذ في بناء قلعة « تبوك » سواء كان عنصرا دينيا أم دفاعيا أم انشائيا .

العناصر الدينية :

اشتمل تخطيط قلعة « تبوك » على مسجد يتوسط تقريبا غرف الطابق الثاني في ضلع القلعة الجنوبي كما سبق وصفه[١] ، والجدير ذكره ان احتواء تخطيط قلعة « تبوك » على مسجد ليس غريبا ، فمعظم القلاع التي ترجع إلى العصر العثماني تحتوى تخطيطاتها على المسجد ، سواء في الاناضول أو الولايات التابعة للدولة العثمانية ، كقلعة « المويلح »[٢] ٩٦٨ هـ وقلعة « الوجه »[٣] ٩٦٨ هـ في طريق الحاج المصرى .

ويلاحظ على مسجد قلعة « تبوك » انه يحتوى على عنصر واحد فقط من عناصر المسجد الاساسية ، وهو المحراب ، وشكله عبارة عن تجويف في جدار القبلة وطاقيته تشكل عقدا مدببا ، كسي بطبقة من الملاط[٤] . ويفتقد المسجد لعنصر المنبر ، كما يفتقد تخطيط القلعة لعنصر المئذنة وفي هذا دلالة على أن المسجد استخدم لموظفي القلعة فقط ، ولا تقام به صلاة جمعة ، وذلك بسبب وجود جامع « تبوك » الكبير الواقع بالقرب من القلعة .

ومما يلفت النظر وجود عنصر يعلو دروة القلعة ويوازى محراب المسجد ، وهو عبارة عن بروز مستطيل الشكل تقريبا ، يرتكز من الخارج على عدة مداميك بارزة من اصل السور ، ويظهر من الداخل على شكل فتحة مستطيلة الشكل

---

(١) شكل رقم (٢) لوحة رقم (٢٠) في هذا البحث .
(٢) د . هشام عجيمي - قلعة المويلح - شكل رقم (١) .
(٣) د . هشام عجيمي - قلاع الازنم والوجه وضبا - شكل رقم (١٤) .
(٤) لوحة رقم (٢٠) في هذا البحث .

تنتهي في اعلاها بعقد مدائني حفر في قطعة واحدة من الحجر ، وربما كان هذا العنصر علامة على أن القلعة إسلامية ، وهو عنصر يظهر لأول مرة في قلاع الحجاز ، ولا نجد له مثيلا في قلاع طريق الحاج المصرى[١] .

العناصر الدفاعيـــة :

ان وظيفة المبنى الدفاعية حتّمت استخدام عدة اساليب معمارية للدفاع عنه تتمثل في الآتي :

١ ـ بلغ سمك الجدران الخارجية للقلعة (١,٨٠ م)[٢] .

٢ ـ استخدم المدخل المنكسر الذى نفذ عن طريق التفات الداخل نحو اليسار ثم الالتفات نحو اليمين للدخول إلى فناء القلعة ، وهذا الاسلوب يتبع في تخطيط القلاع لاعاقة دخول المهاجمين المبنى ، وقد نفذ هذا الاسلوب في القلاع المملوكية في طريق الحاج المصري ، حيث نفذ في قلعة « نخل »[٣] ٩١٦ هـ (١٥١٠ م) ، وقلعة « العقبة »[٤] ٤١٦ هـ ، وقلعة الأزنم»[٥] ٩١٦ هـ ، ثم نفذ العثمانيون هذا العنصر الدفاعي في قلاعهم في نفس الطريق فيظهر في قلعة « المويلح »[٦] ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) ، ثم نراه ينفذ في قلعة « تبوك »[٧] ، مما يدل على استخدامه في قلاع طريق الحاج الشامي في نفس العصر .

٣ ـ أدى استخدام المدافع إلى عمل فتحات كبيرة لها في جدران المبنى للدفاع عنه ، فقد فتحت في جدار كل من السور الشرقي والسور الغربي فتحات للمدافع ، وكانت المدافع توضع في ممر السور المتسع في السور الشرقي بمقدار

---

(١) لوحة رقم (١) في هذا البحث .

(٢) شكل رقم (١) في هذا البحث .

(٣) عبدالرحمن زكي ـ قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ـ ١٣٣ .

(٤) نفس المرجع السابق ـ ١٣٦ .

(٥) د . هشام عجيمي ـ قلاع الازنم والوجه وضبا ـ ١٦٧ .

(٦) د . هشام عجيمي ـ قلعة المويلح ـ شكل رقم (١) .

(٧) شكل رقم (١) في هذا البحث .

(١,٥٠ م) ، وفي السور الغربي (٣,٧٠ م) ، فضلا عن عمق فتحة المدفع في جدار السور البالغ سمكه (١ م)[١] .

وبلغ عدد فتحات المدافع في السور الشرقي ثلاث فتحات ، بينما فتحت في السور الغربي اربع فتحات ، بسبب وجود عين ماء « السكر » خارج السور الغربي ، لذا يحتاج إلى تدعيم دفاعي أكثر[٢] .

أما عن شكل فتحات المدافع ، فهي تتسع من الداخل وتأخذ في الضيق كلما اتجهت نحو الخارج حتى تظهر على هيئة شق طولي وهذا الشكل هو اقدم اشكال فتحات المدافع التي اتبع تنفيذها في عمارة القلاع الإسلامية عند استخدام المدفعية بها حيث ظهرت في قلعة « اناضولو حصار »[٣] ٧٩٨ هـ (١٣٩٥ م) ، كما ظهر في قلعة «الأزنم»[٤] المملوكية ٩١٦هـ في طريق الحاج المصري ، ثم يظهر استخدامه في قلعة « تبوك » كما سبق بيانه ، مما يدل على انتشار هذا النوع من فتحات المدافع في القلاع العثمانية الواقعة في طريق الحاج الشامي .

٤ ـ المزاغـــل :

وهي الشقوق الطولية التي يقوم من خلالها الجنود برمي الرصاص منها على المهاجمين ، وتفتح عادة في اسوار القلعة والجدران الساترة لممرات أسوارها .

وقد فتحت في اسوار قلعة « تبوك » اربعة عشر مزغلا في اسوار الطابق الأول منها : سبعة في السور الشمالي ، وسبعة في السور الجنوبي[٥] ، أما في الطابق الثاني فبلغ عددها خمسة وعشرين مزغلا توزعت كالآتي : في السور الشرقي اربعة مزاغل ، والغربي احد عشر مزغلا ، والشمالي ستة مزاغل ، والجنوبي اربعة مزاغل[٦] .

---

(١) شكل رقم (٢) في هذا البحث .
(٢) لوحة رقم (٣، ٨، ١٥) في هذا البحث .
(٣) Ekrem Hakki, Osmanli Mimarisinde, C5, S621.
(٤) د . هشام عجيمي ـ قلاع الازنم ـ شكل رقم (٨) لوحة رقم (٣٣، ٣٤) .
(٥) شكل رقم (٢) في هذا البحث .
(٦) شكل رقم (٣) في هذا البحث .

أما شكل هذه المزاغل فهي تتسع من الداخل بمقدار (٨٠ سم) وتأخذ في الضيق كلما اتجهت نحو الخارج حتى تظهر على هيئة شق طولي عرضه (٢٠ سم) وارتفاعه (٧٠ سم) ، وهذا الشكل من المزاغل اسلوب مملوكى ظهر في قلعة « الأزنم »[١] ٩١٦ هـ ، في طريق الحاج المصري ، ثم ظهر استخدامه في القلاع العثمانية في نفس الطريق كما في قلعة « المويلح » ٩٦٨ هـ ، ثم في قلعة « تبوك » في طريق الحاج الشامي .

٥ ـ ممرات الأســـوار :

استخدمت ممرات الأسوار في قلعة « تبوك » في الطابق الأول والثاني منها ؛ ففي الطابق الأول تظهر في الضلعين الشرقي والغربي بوضوح ولا يمكن أن نطلق عليها (ممرات اسوار) في كل من الضلعين الشمالي والجنوبي ، لأنها ممرات تخدم غرف الطابق الأول ، كما يلاحظ أن ممرات الأسوار في الضلعين الشرقي والغربي تتصل مع ممرات الحجرات في الضلعين الشمالي والجنوبي ، كما اتسع عرض ممرات الأسوار في هذا الطابق ؛ ففي الضلع الشرقي بلغ عرضه (١,٥٠ م) ، وفي الضلع الغربي (٣,٧٠ م) ، وهذا الاتساع يرجع إلى استخدام المدافع في هذه الممرات[٢] .

والجدير بالملاحظة أن ممرات الأسوار في الجزء الشرقي من القلعة اتبع في أسلوب بنائه تخفيف سمك جدار السور الكلي بعمل دخلة عمقها (٧٠ سم) تنتهي في اعلاها بعقد ، ويحمل هذا العقد ممر السور[٣] ، وهذا أسلوب مملوكي في عمل ممرات الأسوار ظهر في قلعة « الأزنم »[٤] المملوكية ٩١٦ هـ ، وظهوره في قلعة « تبوك » دليل على استخدام العثمانيين لهذا الأسلوب في قلاعهم في الحجاز بصفة عامة وقلاع طريق الحاج الشامي بصفة خاصة .

---

(١) د . هشام عجيمي ـ قلاع الازنم ـ شكل رقم (١١) .

(٢) شكل رقم (٢) لوحة رقم (٨،٩،١٣،١٥،١٨،١٩) في هذا البحث .

(٣) شكل رقم (١،٢) لوحة رقم (١٦) في هذا البحث .

(٤) د . هشام عجيمي ـ قلاع الازنم ـ شكل رقم (١) لوحة رقم (١٣) .

٦ ـ مستويـــات الدفـــاع :

بلغ عدد مستويات الدفاع في قلعة « تبوك » مستويين فقط تتمثل في الطابقين الأول والثاني[١] ، أما الطابق الأرضي فلم تفتح فيه عناصر دفاعية إذا استثنينا بوابة الدخول ، وهذا يرجع إلى استخدام حجرات الطابق الأرضي مخازن ، سواء كانت للمواد الغذائية أو السلاح أو غير ذلك أو استخدام بعضها لسكنى موظفي القلعة في الأيام الشتوية الباردة حيث تصل درجة الحرارة في منطقة « تبوك » إلى ما تحت الصفر احيانا .

وتعدد مستويات الدفاع ميزة من مميزات القلاع العثمانية بصفة عامة ، ولكن يظهر أثر الاقتباس المملوكي في هذه الناحية في اقتصاره على مستويين فقط ، في حين نجد أن مستويات الدفاع في القلاع العثمانية في الأناضول قد يصل إلى أكثر من عشر مستويات[٢] ، كما أن اختلاف المناخ له دوره كذلك في قلة مستويات الدفاع في هذه المنطقة بشكل عام .

العناصر الانشائيـــة :

معظم جدران قلعة « تبوك » الخارجية والداخلية بنيت بأسلوب المداميك المتراصة من الداخل والخارج وحشيت في الوسط بالدقشوم[٣] ، حتى الاضافات التي اضيفت على القلعة استخدم فيها الحجر المنحوت كما يظهر في الطابق الثاني منها[٤] ، واستخدم اللبن في بناء بعض الجدران أعلى القلعة ، تتمثل في الدروة العليا منها ، كما يظهر في الغرفة الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من الطابق الثاني[٥] ، وكذلك الغرفة الواقعة في الركن الشمالي الغربي من الطابق الثاني أيضا[٦] .

---

(١) شكل رقم (٤، ٥، ٦، ٧) لوحة رقم (٢، ٣، ٤) في هذا البحث .

(2) Nazmi Sevgen, Anadolu Kaleleri, S282., Ekrem Hakki Ayverdi, Osmanli Mimarisind, C5, S637.

(٣) لوحة رقم (٨، ٩) في هذا البحث .

(٤) لوحة رقم (١٨، ١٩) في هذا البحث .

(٥) لوحة رقم (٣، ٨، ١٩) في هذا البحث .

(٦) لوحة رقم (٢، ١٨) في هذا البحث .

ويلاحظ أن المداميك الخارجية لقلعة « تبوك » استخدم في بنائها الحجر المكحل[1] ، وهذا الأسلوب سبق أن ظهر استخدامه في العصر الأيوبي كما يبدو من الأجزاء المكتشفة حديثا من أسوار القاهرة التي ترجع إلى عهد صلاح الدين الأيوبي بالقرب من الفسطاط[2] .

أساليب التسقيـف :

اتبع في تسقيف حجرات وغرف قلعة « تبوك » أسلوبان هما : القبوات والسقف المسطح .

القبـوات :

استعملت القبوات في تسقيف حجرات الطابق الأرضي كي تتحمل ثقل الطابقين العلويين ، وقد اخذت هذه القبوات عدة أشكال :

(أ) قبو متقاطـع :

استخدم هذا النوع من القبوات في تسقيف دهليز المدخل في قلعة « تبوك » الممثل في الممرين الأول والثاني المفضيين إلى فناء القلعة كما سبق بيانه[3] ، وهذه القبوات المتقاطعة التي سقف بها المدخل عبارة عن ثلاثة قبوات : الأول يتجه من الشرق الى الغرب بطول (٧,٤٠م) ، والثاني يتجه من الشمال الى الجنوب أمام بوابة القلعة[4] بطول (٤,١٠ م) ، وهو يقطع القبو الأول ، والثالث يوازي القبو الثاني بطول[5] (٤,٧٠ م) أي أنه يتجه من الشمال إلى الجنوب ، ويقطع

---

(١) هو الحجر المنحوت من جوانبه والوجه الخارجي منه تنحت اطرافه فقط على هيئة اطار بينما تترك بقية مساحة الوجه الخارجي بدون تهذيب ، ويطلق على هذا النوع من الحجر في اللغة التركية (Bosajli duvar orgusu) انظر :

Metin Sozen ve Ugur Tanyeli, Sanatkavram ve Terimleri Sozlugu, S267. Istanbul 1986.

(٢) لوحة رقم (٢٥) في هذا البحث .

(٣) لوحة رقم (٦،٧) في هذا البحث .

(٤) لوحة رقم (٦) في هذا البحث .

(٥) لوحة رقم (٧) في هذا البحث .

الأول ، والقبوات الثلاث السابق ذكرها من النوع المدبب ، وهذا النوع من القبوات ظهر استخدامه في القلاع المملوكية في طريق الحاج المصرى كقلعة « الازنم »[١] ٩١٦ هـ ، كما ظهر استخدامه في القلاع التركية في الأناضول[٢] .

(ب) قبو مدبب :

استخدم هذا الأسلوب في تسقيف حجرات الطابق الأرضي من قلعة « تبوك » ، ما عدا الحجرة الواقعة غرب كتلة المدخل . وهذا الأسلوب في التسقيف يستخدم عندما تختلف مساحات الحجرات ، وهذا ينطبق على حجرات الطابق الأرضي لقلعة « تبوك »[٣] ، وهذا الأسلوب من القبوات ظهر استخدامه في قلعة « المويلح » العثمانية في طريق الحاج المصري[٤] .

(جـ) قبو نصف برميلي :

استعمل هذا النوع من القبوات في تسقيف الحجرة الواقعة غرب كتلة المدخل في الطابق الارضي من قلعة « تبوك » ، ويظهر انها الحجرة الوحيدة في هذه القلعة التى تلائم استخدام القبو النصف البرميلي مع مساحتها وارتفاعها[٥] ، وقد استخدم هذا الاسلوب من التسقيف في قلعة « الازنم » المملوكية ٩١٦ هـ ، كما سبق ظهوره في العصر السلجوقي كما في قلعة « الانيا »[٦] جنوب الاناضول .

(د) قبـــو ضحـــل :

نفذ في تسقيف دخلات الضلع الغربي الحاملة لممر السور البالغ عرضه (٢,٦٠ م) . والواقع ان هذا الشكل من القبوات قد كان حلا معماريا ذكيا من

---

(١) د. هشام عجيمي ـ قلاع الازنم ـ شكل رقم (١) .

(2) Nazmi Sevgen, Anadolu Kaleleri, C2, Lawhaler.

(٣) شكل رقم (١) لوحة رقم (١١،١٢) في هذا البحث .

(٤) د . هشام عجيمي ـ قلعة المويلح ـ شكل رقم (٢) .

(٥) لوحة رقم (١٧) في هذا البحث .

(6) Riefisthal, Genubu Garbi Osmanlimimarisinda s 104.

المهندس المنشيء للقلعة ، فالبناء لا يحتوى على ابراج في اركانه والتي من المعتاد أن توضع بها المدافع وتفتح لها فتحات خاصة ، لذا لم يكن هناك بد من توسيع ممر السور في الضلع الغربي كي توضع به المدافع ، وفتحت في جدار السور فتحات لها[١] ، وهذه حالة فريدة في قلاع طريق الحج لا نجد لها مثيلا حتى الآن .

سقف مسطّح :

استخدم السقف المسطح في تسقيف الطوابق العليا من قلعة « تبوك »[٢] وهذا أسلوب محلي في التسقيف ، حيث ترص جذوع الشجر السميكة بطريقة متوازية فوق الغرفة المراد تسقيفها ، ثم يوضع فوقها السعف المنسوج ، ويوضع فوق السعف عجينة من الرمل والحصى ، وتغطى بطبقة من الجير ، وهذا النوع من التسقيف ينجز في وقت قصير إذا ما قورن بانواع التسقيف الأخرى كالقباب والقبوات . وقد سبق استخدام السقف المسطح في قلاع طريق الحاج المصرى كما في قلعة « المويلح »[٣] ٩٦٨ هـ ، وقلعة « الوجه »[٤] ٩٦٨ هـ .

السلالم :

يتصل الطابق الارضي بالطابق الأول من قلعة « تبوك » بواسطة سلم واحد فقط يقع في الركن الشمالي الغربي من فناء القلعة[٥] ، بينما يتصل الطابق الأول بالطابق الثاني بواسطة ثلاث سلالم تقع في كل من الضلع الشرقي[٦] ، والركن الشمالي الغربي[٧] والركن الجنوبي الغربي[٨] .

---

(١) لوحة رقم (٨) في هذا البحث .
(٢) شكل رقم (٣،٢) في هذا البحث .
(٣) د . هشام عجيمي ـ قلعة المويلح ـ شكل رقم (١) .
(٤) د . هشام عجيمي ـ قلاع الازنم ـ شكل رقم (١٤) .
(٥) شكل رقم (١) لوحة رقم (١٨) في هذا البحث .
(٦) شكل رقم (٢) لوحة رقم (١٣،١٥) في هذا البحث .
(٧) شكل رقم (٢) لوحة رقم (١٨) في هذا البحث .
(٨) شكل رقم (٢) لوحة رقم (٨،٢٣) في هذا البحث .

واقتصار الطابق الأول على سلم واحد للصعود إلى الطابق الأول يمكن القول بأنه أسلوب دفاعي يعيق صعود المهاجمين إلى الأدوار العليا من القلعة في حالة دخولهم إلى فناء القلعة ، كما ان فيه اشارة إلى أن الطابق الأرضي استخدم مخازن للقلعة وليس لأقامة الجنود ، أما تعدد السلالم في الطابق الأول فهو يساعد على انتشار الجنود المدافعين عن القلعة في أسرع وقت ممكن على أطراف القلعة العليا للدفاع عنها .

التهويـــة والانـــارة :

تحتوى حجرات الطابق الأرضي على فتحات صغير مستطيلة الشكل تعلو ابوابها[1] ، وهي قريبة من السقف ، وهذا يساعد على دخول وخروج الهواء بمساعدة باب الحجرة نفسها .

أما غرف الطوابق العليا فهي أكثر تهوية من حجرات الطابق الأرضي فكل غرفة منها تحتوى على باب تعلوه فتحة مربعة أو مستطيلة ، وفي الجدار المقابل لباب الغرفة فتحة المزغل مما يساعد على مرور تيار الهواء ، وفي نفس الوقت انارة الغرفة[2] .

وفضلا عن ذلك فإن وجود فناء القلعة الواسع وسط التخطيط يساعد على انارة وتهوية الغرف بطريقة سليمة ، كما تحتوى كل حجرة وغرفة في القلعة على دخلة صغيرة لوضع السراج[3] .

العقـــود :

لم تستخدم العقود كثيرا في بناء جدران قلعة « تبوك » ، فأبواب الغرف الحجرات ونوافذها استخدمت فيها الأعتاب الحجرية والخشبية وما نفذ من عقود في القلعة له غرض انشائي وتتمثل في :

---

(١) لوحة رقم (٨) في هذا البحث .

(٢) لوحة رقم (١٨) في هذا البحث .

(٣) لوحة رقم (٥، ١٠، ١٢، ٢٠) في هذا البحث .

بوابة القلعة من الخارج حيث احتوى المدخل على عقد مدبب كبير يقرب شكله من حدوة الفرس ثم يرتد الجدار إلى الداخل باتساع البوابة بعمق (٦٠ سم) لتخفيف سمك الجدار لعمل بوابة الدخول[١] .

كما استخدمت العقود في حمل ممر السور في الضلع الشرقي كما سبق بيانه[٢] .

مصدر مـاء القلعـة :

يتمثل في البئر الموجودة في فناء القلعة كما سبق بيانه ، وبجوارها الحوض الحجرى[٣] ، كما يمكن اعتبار عين « السّكر » الواقعة خارج الضلع الغربي من القلعة مصدرا ثانيا يزود القلعة بالماء[٤] .

ويبدو أن هناك اتصالا بين « عين السكر » وبين بئر القلعة يدل على ذلك قرب المسافة بينهما ، فضلا عن انه عندما نضبت العين نضبت ماء البئر كذلك .

تصريـف المـاء :

تحتوى القلعة على مرحاضين في الحجرة الواقعة في الركن الجنوبي الغربي[٥] ، ثم اضيف مرحاضان آخران أمام الحجرة السابق ذكرها ، وبني لها جداران ساتران ، ويبدو أن تصريف الماء يتجه إلى الضلع الجنوبي ومن ثم إلى خارج القلعة[٦] .

---

(١) شكل رقم (٨) لوحة رقم (١) في هذا البحث .
(٢) شكل رقم (١) لوحة رقم (١٦) في هذا البحث .
(٣) شكل رقم (١) لوحة رقم (٢١) في هذا البحث .
(٤) لوحة رقم (٣) في هذا البحث .
(٥) لوحة رقم (١٢) في هذا البحث .
(٦) لوحة رقم (٨) في هذا البحث .

خاتمـــة :

قدمت الدراسة تسجيلا علميا لقلعة « تبوك » إحدى قلاع طريق الحاج الشامي ، وكان من أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة :

أن « تبوك » لها أهمية تاريخية ، حيث تشرفت بمقدم سيدنا رسول الله ﷺ اليها في السنة التاسعة من الهجرة ، كما أن لها أهمية جغرافية تتمثل في وقوعها في طريق الحاج الشامي ، بالإضافة إلى توفر عناصر الحياة فيها ، فهي غنية بالماء والعشب ، الأمر الذى جعل الحاج الشامي يتخذها محطة للتزود بالماء والعشب وطلب الراحة فيها ، خاصة وان المرحلة التي تليها عرفت بأنها مرحلة طويلة وجافة ، ومن ثم كان لا بد من تحصينها واقامة قوة دائمة فيها ، لتوفير الأمن والامان ، وتقديم ما يحتاجه الحاج من خدمات ، لذا كان بناء قلعة « تبوك » ضرورة حتمية في العصر العثماني ، شأنها شأن بقية المحطات في طرق الحج المختلفة التي حرص العثمانيون على تحصينها وتوفير الأمن فيها .

وقدمت الدراسة تصحيحا لتاريخ انشاء القلعة ، حيث انشئت سنة ٩٦٧ هـ (١٥٥٩ م) بأمر السلطان سليمان القانوني الذى حكم الدولة العثمانية في الفترة من ٩٢٧ ـ ٩٧٤ هـ (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ م) ، أما التاريخ المسجل أعلى بوابة القلعة وهو سنة ١٠٦٤ هـ (١٦٥٣ م) والذى تداوله بعض الباحثين على انه تاريخ تأسيس فما هو الا تاريخ لتجديد وتعمير أجرى على القلعة في التاريخ المشار اليه (١٠٦٤ هـ) ، وتم ذلك التجديد في عهد السلطان محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان الذى حكم الدولة العثمانية في الفترة من ١٠٥٨ ـ ١٠٩٩ هـ (١٦٤٨ ـ ١٦٨٧ م) .

كما قدمت الدراسة اكتشافا جديدا لترميم أجرى على القلعة ، حيث اكتشف لوح من الرخام يعلو محراب مسجد القلعة الواقع في الطابق الثاني منها ، ويحتوى ذلك اللوح على كتابات أثرية تفيد بأنه أجرى على القلعة تجديد وتعمير بأمر السلطان العثماني عبد المجيد خان بن محمود ، الذى حكم الدولة العثمانية في الفترة من ١٢٥٥ ـ ١٢٧٨ هـ (١٨٣٩ ـ ١٨٦١ م) ، وهذا التجديد والتعمير مؤرخ في الثاني والعشرين من شهر ذى الحجة عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) .

وتوصلت الدراسة إلى أنه أجرى على القلعة ترميم ثالث في عهد الدولة السعودية سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) .

أما من الناحية المعمارية ، فقد قدمت الدراسة وصفا علميا دقيقا لمبنى القلعة القائم حاليا ، مشفوعا بالخرائط الافقية والقطاعات الطولية ، فضلا عن اللوحات الفوتوغرافية التي الحقت بالبحث .

وفي مجال الكتابات التذكارية التي وجدت على جدران القلعة ، فقد قدمت الدراسة تصحيحات لكثير من المعلومات التي وردت عن اللوحة التذكارية المثبتة أعلى البوابة ، واثبات أن أسلوب كتابة اللوحات التوثيقية للقلاع على الواح من القاشاني حالة فريدة تظهر في قلعة « تبوك » ، وهو أسلوب يظهر لأول مرة في القلاع العثمانية في الجزيرة العربية بصفة عامة .

كما توصلت الدراسة إلى اظهار عناصر القلعة المعمارية ومقارنتها بالقلاع السابقة واللاحقة سواء في الجزيرة العربية أو في تركيا ، واتضح من دراستها انها عناصر سبق ظهور الكثير منها في قلاع المنطقة سواء كانت عناصر دينية أو حربية أو انشائية ، وانفردت قلعة « تبوك » بظهور عنصر معمارى جديد يقع في دروة الطابق العلوى الثاني من القلعة ، وهو عبارة عن بروز حجرى يرتكز من الخارج على مداميك من الحجر ، وينتهي في أعلاه بعقد مدائني ، وربما دل هذا العنصر على أن القلعة إسلامية .

وأخيراً آمل أن أكون قد وفقت في تسجيل هذا الأثر الحضارى الذى كان يقدم خدمات جليلة لحجاج بيت الله الحرام والذى يشهد بمآثر آل عثمان في القيام بواجبهم في خدمة ضيوف الرحمن .

كما أن هذا الأثر جدير بالمحافظة عليه وترميمه ، وهو مكان صالح لأن يكون نواة لمتحف إقليمي لعرض التراث الشعبي لمنطقة « تبوك » وما جاورها من مدن وقرى .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه
أجمعين

المصـــادر والمراجع

مصادر ومراجع باللغة العربية :

- إبراهيم عبد الرحمن الخيارى المدني (ت ١٠٨٣ هـ)
تحفة الأدباء وسلوة الغرباء
تحقيق ، رجا محمود السامرائي .
بغداد ، ١٩٦٩ م .

- ابن هشام
السيرة النبوية
تحقيق مصطفى السقا وآخرين
ط ٢ ، ١٣٧٥ هـ ، نشر مطبعة مصطفي البابي الحلبي .

- أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى المعروف بالكرخي (ت حوالي ٣٤٠)
المسالك والممالك
تحقيق د . محمد جابر الحسيني
مراجعة محمد شفيق غربال
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة ، مصر ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م .

- الإمام أبو اسحاق الحربي
كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة
تحقيق حمد الجاسر
دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٩ هـ .

- أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني (ت ١٠١٩ هـ)
كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ
عالم الكتب ، بيروت .

- أحمد فائز الحمصي
روائع من العمارة العربية الإسلامية في سوريا
تقديم . د . محمد محمد الخطيب ، مراجعة حسن كمال
منشورات وزارة الاوقاف ، سوريا ، دمشق ١٤٠٢ هـ .

- تقي الدين المقريزى
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار
نشر مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .

- حمد الجاسر
في شمال غرب الجزيرة ، نصوص ومشاهدات وانطباعات
ط ١ ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٠ هـ .

- سنت جون فلبي
أرض الأنبياء
المكتبة الأهلية ببيروت .

- سويله مزاوغلي سليمان شفيق بن على كمال باشا
حجاز سياحتنامه سي
مخطوط بمكتبة جامعة اسطنبول تحت رقم (٤١٩٩) .

- سيد عبد المجيد بكر
الملامح الجغرافية لدروب الحجيج
ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، الكتاب الجامعي رقم (٦) ، مؤسسة تهامة للنشر .

- صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى
مراصد الاطلاع
تحقيق ، محمد البجاوى
مطبعة مصطفي البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م .

- د . عبد الرحمن زكي
قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة
مطبعة نهضة مصر .

- عبد الغني النابلسي
الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز
القسم الثالث
مخطوط رقم (٤١) مكتبة الحرم المكي الشريف .

- عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجزيرى
درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة
تحقيق ، محب الدين الخطيب
المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٤ هـ .

- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)
البداية والنهاية
نشر مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م .

- قدامة بن جعفر
المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة
تحقيق د . طلال جميل رفاعي
رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ .

- محمد أمين بن فضل الله المحبي
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر
المطبعة الذهبية القاهرة ١٨٦٩ م ، مصور اوفست بمكتبة خياط ببيروت ١٩٨٣ م .

- محمد بن عبد الله الحسيني الموسوى الشهير بكبريت
كتاب رحلة الشتاء والصيف
المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ .

- محمد فريد بك المحامي
تاريخ الدولة العلية العثمانية
تحقيق د . احسان حقي
ط ١ ، دار النفائس ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

- د . محمد محمود محمدين
التراث الجغرافي الإسلامي
ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ ، دار العلوم للطباعة والنشر .

- د . محمد فهد الفعر
النقوش والكتابات في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني .
رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ١٤٠٦ هـ .

- أ . موسل
شمال الحجاز
نقلة إلى العربية د . عبد المحسن الحسيني
مطابع رمسيس الاسكندرية ١٩٥٢ م .

- مجلة العرب ، العدد التاسع ، السنة الحادية عشرة ١٣٩٧ هـ .

- ناجي زين الدين المصرف
مصور الخط العربي
مكتبة الرياض ١٩٨٣ م .

- نجم الدين الغزى
الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة
تحقيق ، د . جبرائيل سليمان جبور
بيروت ١٩٧٩ م ، دار الآفاق الجديدة .

- د . نوفان رجا الحمود
العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين
ط ١ ، ١٤٠١ هـ دار الآفاق الجديدة ، بيروت لبنان .

- نور الدين على ابن أحمد السمهودى
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
نشر دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م .

- د . هشام محمد على عجيمي
، قلعة المويلح دراسة معمارية حضارية
رسالة ماجستير من جامعة أم القرى مكة المكرمة عام ١٤٠٣ هـ .
، قلاع الازنم والوجه وضبا دراسة معمارية حضارية
رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى مكة المكرمة عام ١٤٠٧ هـ .

- ياقوت بن عبد الله الحموى
معجم البلدان
دار بيروت ، دار صادر ١٩٥٧ م .

مصادر ومراجع بلغات اجنبية :

By Yokhikazu Shirkawa represented Orion Press, Tokyo.

— The Times of the world.

— Ekrem Hakki Ayverdi,
Osmanli Mimarisinde, Celebi ve II Sultan Murad Devri, Istanbul 1972.

— Mehmud Bedreddin Yazir,
Yazi ve Kalem Guzli,
Ankara 1972.

— Metin Sozen ve Ugur Tanyeli, Sanatkavram ve
Terimleri Soslugu,
Istanbul 1986.

— Nazmi Sevgen,
Anadolu Kaleleri,
Dogus Ltd, Sirketi Matbaasi,
Ankara 1959.

— Oktay Aslanaba,
Turk Sanati,
Dizgi, Baski ve Cilt Evrim Matbaacilik Ltd
Istanbul 1984.

— Rudolf M.Riefstahl,
Genubu Garbi Anadoluda Turk Mimarisi,
Istanbul, Maarif Matbaasi 1941.

— Tahsin Os,
Istanbul Camileri,
Turk Tarih Kurumu Basimevi,
Ankara 1962.

فهرس الأشكال

شكل رقم (١) : قلعة تبوك ، مسقط أفقي للمباني القائمة حاليا ، الدور الأرضي .
شكل رقم (٢) : قلعة تبوك ، مسقط أفقي للمباني الحالية الدور الأول .
شكل رقم (٣) : قلعة تبوك ، مسقط أفقي للمباني الحالية ، الدور الثاني .
شكل رقم (٤) : قلعة تبوك ، قطاع طولي للواجهة الشرقية من الداخل .
شكل رقم (٥) : قلعة تبوك ، قطاع طولي للواجهة الجنوبية من الداخل .
شكل رقم (٦) : قلعة تبوك ، قطاع للواجهة الشمالية من الداخل .
شكل رقم (٧) : قلعة تبوك ، قطاع طولي للواجهة الغربية من الداخل .
شكل رقم (٨) : قلعة تبوك ، كروكي لمدخل القلعة من الخارج .
شكل رقم (٩) : مسقط أفقي لبركة السكر خارج الضلع الغربي لقلعة تبوك .

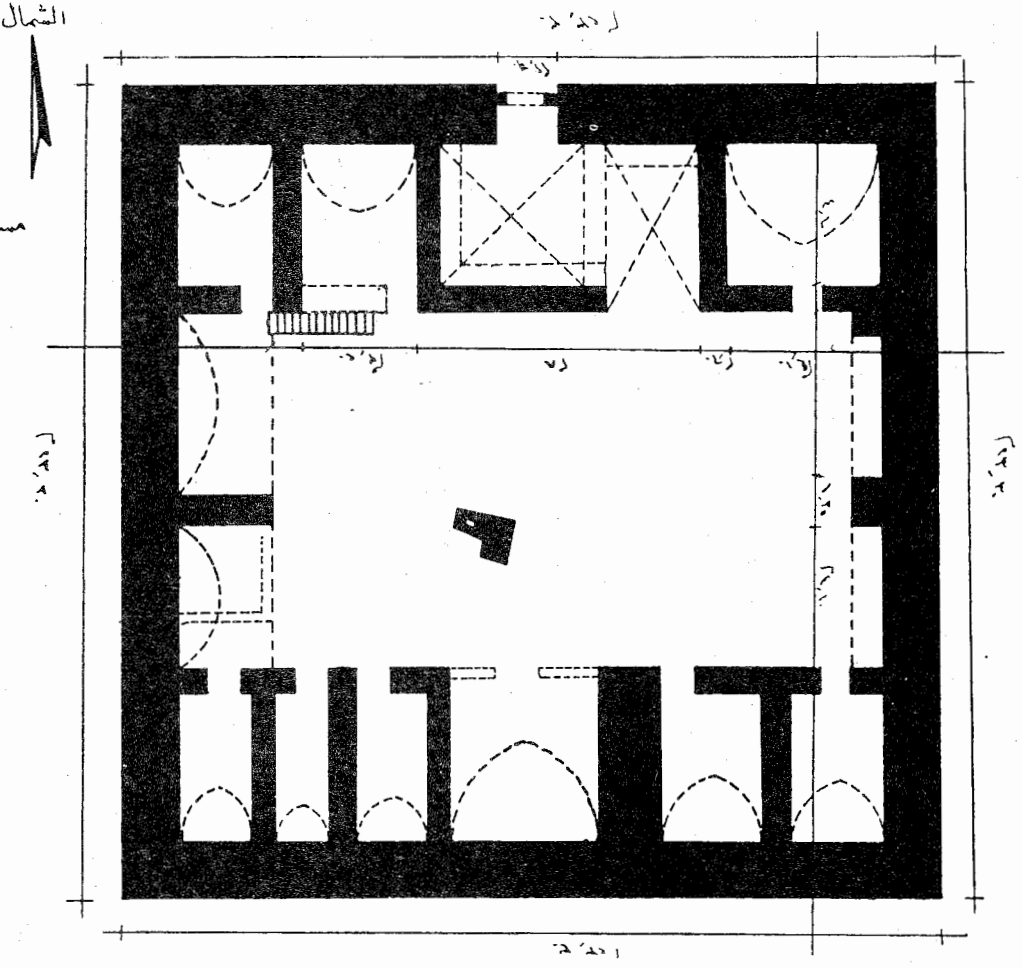

قلعة تبوك

مقياس الرسم ١ : ١٥٠

مسقط افقي للمباني القائمة حالياً

- الدور الأرضي -

شكل رقم (١)

الشمال

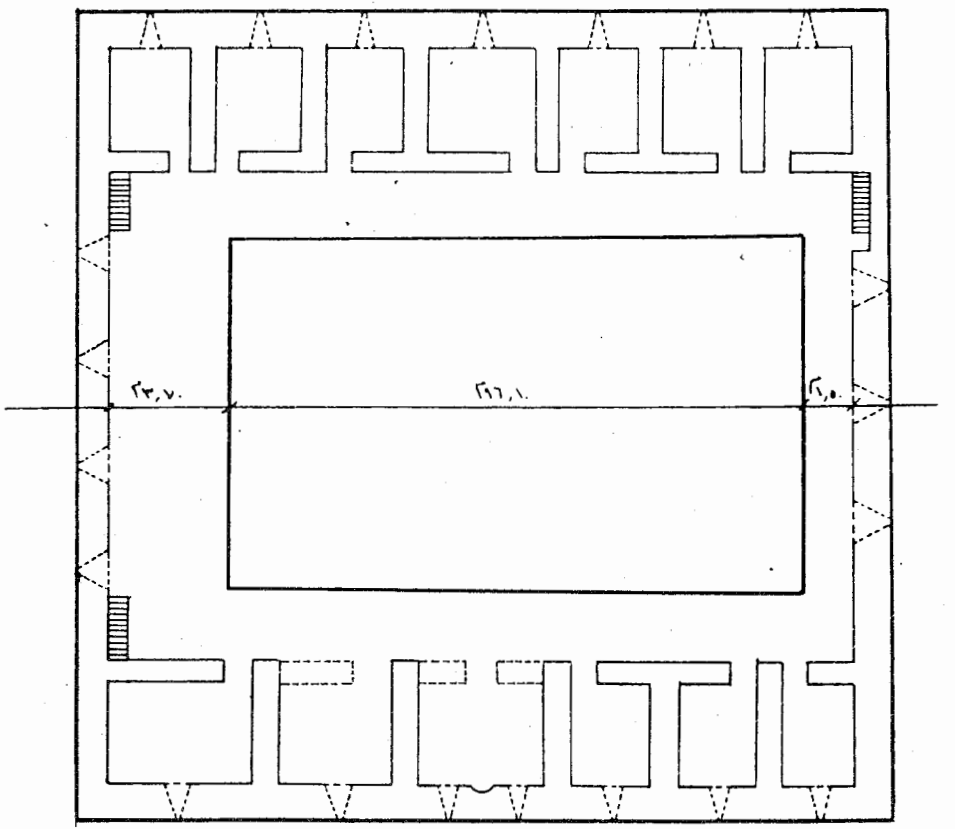

قلعة تبوك
مسقط افقي للمباني العالية
" الدور الاول "
مقياس الرسم ١ : ١٥٠ .
شكل رقم " ٢ "

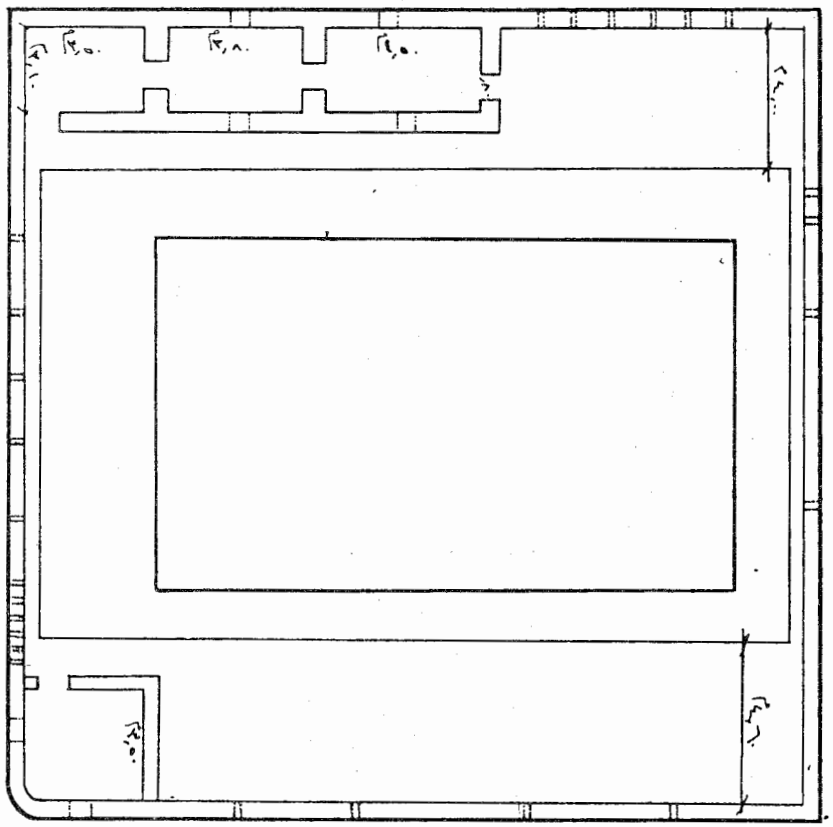

قلعة تبوك
مسقط افقي للمباني الحالية
• الدور الثاني •
مقياس الرسم ١ : ١٥٠ .
شكل رقم "٣٠"

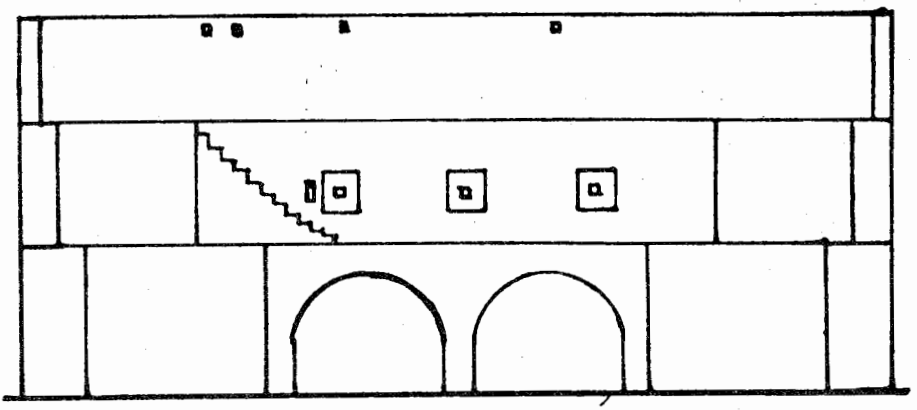

قلعة تبوك : الواجهة الشرقية من الداخل ٢ : ١ : ٢٠٠

شكل رقم « ٤ » .

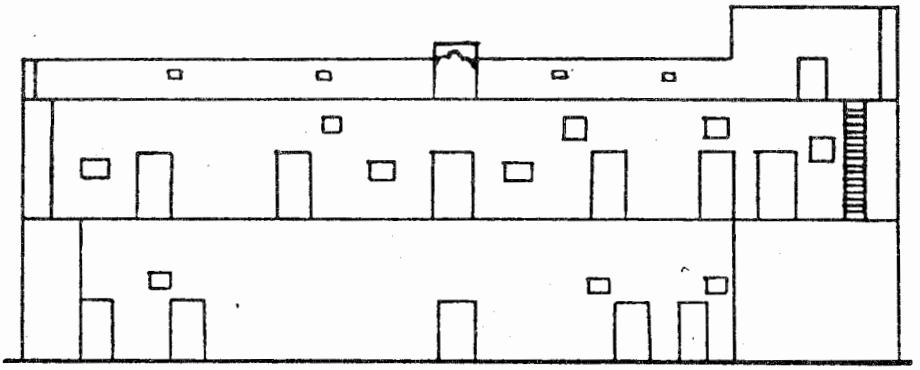

قلعة تبوك : الواجهة الجنوبية من الداخل ٢ : ١ : ٢٠٠

شكل رقم « ٥ » .

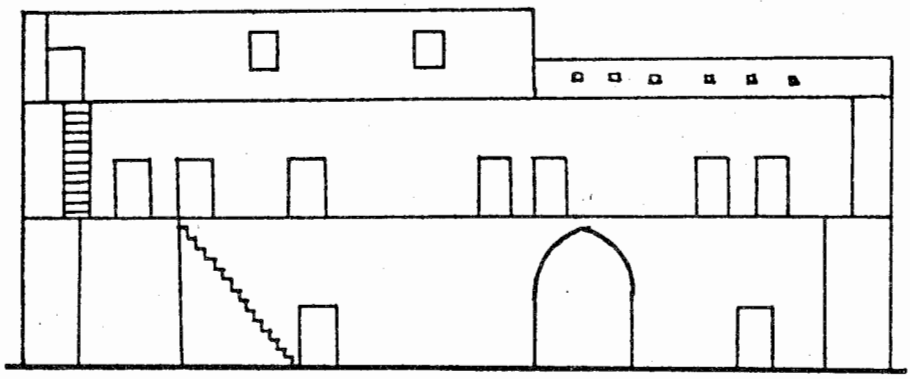

قلعة تبوك : الواجهة الشمالية من الداخل م : ١ : ٢٠٠

شكل رقم « ٦ »

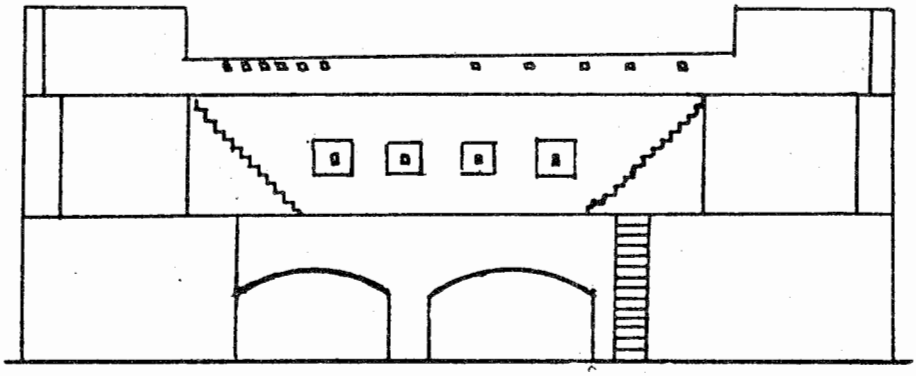

قلعة تبوك : الواجهة الغربية من الداخل م : ١ : ٢٠٠

شكل رقم « ٧ »

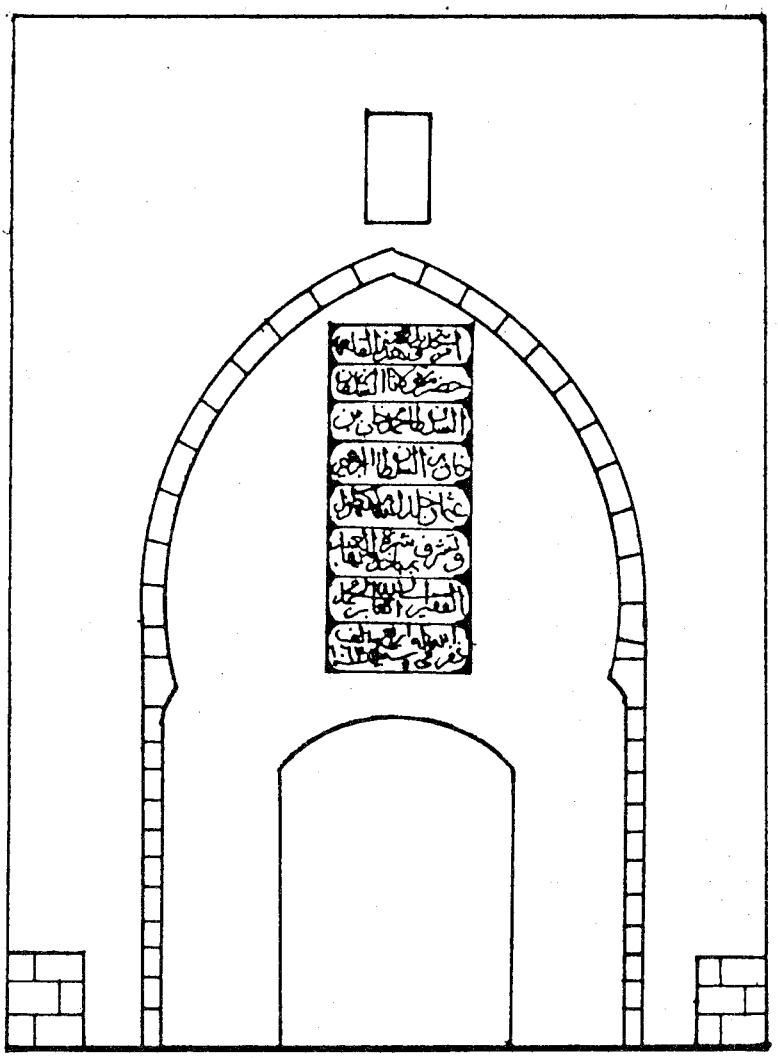

قلعة تبوك : الواجهة الحالية للمدخل "كروكي" .

شكل رقم "٨" .

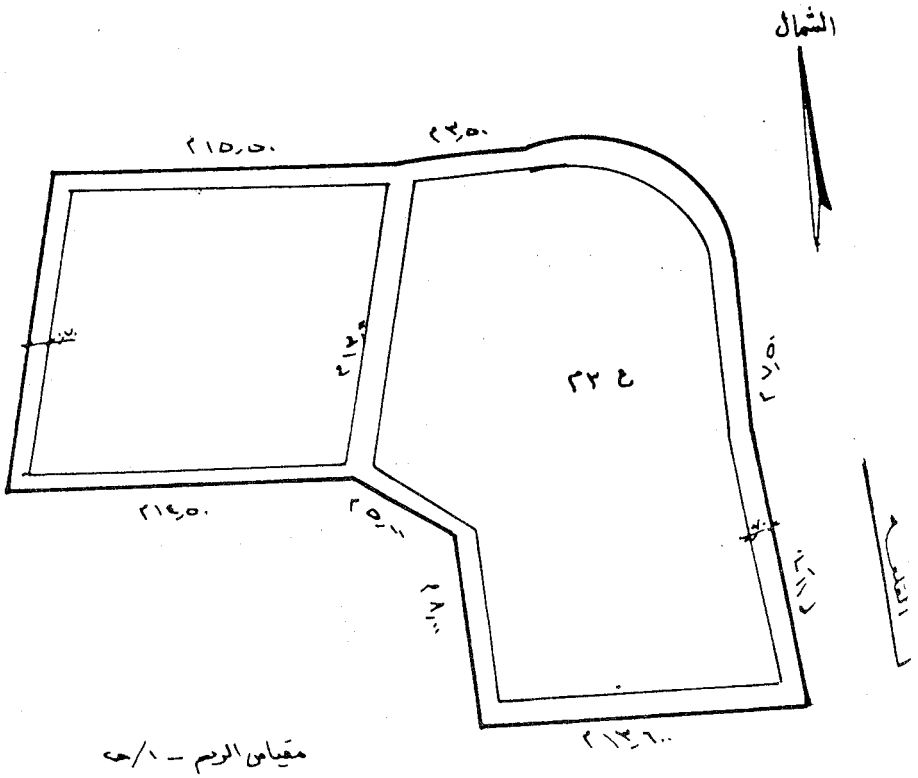

عين وبركة السكر بجوار قلعة تبوك

شكل رقم "٩٠"

فهرس اللوحـــات

لوحة رقم (١) : قلعة تبوك ، مدخل القلعة من الخارج ، وتظهر لوحة التجديد المؤرخة بعام ١٠٦٤ هـ .

لوحة رقم (٢) : قلعة تبوك ، منظر عام للواجهة الشمالية من الخارج .

لوحة رقم (٣) : قلعة تبوك ، منظر عام للواجهة الغربية من الخارج ، ويظهر جزء من البركة والعين .

لوحة رقم (٤) : قلعة تبوك ، منظر عام يبين الواجهتين الجنوبية والغربية من الخارج .

لوحة رقم (٥) : قلعة تبوك ، مصطبة المدخل في الممر الأول في دهليز القلعة .

لوحة رقم (٦) : قلعة تبوك ، دهليز المدخل ، الممر الأول ، ويظهر أسلوب التسقيف بقبو متقاطع .

لوحة رقم (٧) : قلعة تبوك ، دهليز المدخل ، الممر الثاني ، ويظهر أسلوب التسقيف بقبو متقاطع .

لوحة رقم (٨) : قلعة تبوك ، منظر عام لأجزاء من الضلعين الجنوبي والغربي من الداخل .

لوحة رقم (٩) : قلعة تبوك ، منظر عام للضلع الجنوبي من الداخل .

لوحة رقم (١٠) : قلعة تبوك ، جزء من الضلع الجنوبي من الداخل وتظهر الغرفة الواقعة في الطابق الثاني في الركن الجنوبي الغربي ، كما يظهر العنصر الذى يعلو محراب مسجد القلعة .

لوحة رقم (١١) : قلعة تبوك ، ايوان الضلع الجنوبي في الطابق الأرضي من القلعة .

لوحة رقم (١٢) : قلعة تبوك ، حجرة في الركن الجنوبي الغربي من الطابق الأرضي .

لوحة رقم (١٣) : قلعة تبوك ، أجزاء من الضلعين الشمالي والشرقي من الداخل .

لوحة رقم (١٤) : قلعة تبوك ، أجزاء من الضلعين الجنوبي والشرقي من الداخل .

لوحة رقم (١٥) : قلعة تبوك ، الضلع الشرقي من الداخل ، وتظهر فتحات المدافع وممرات الأسوار .

لوحة رقم (١٦) : قلعة تبوك ، أجزاء من الضلع الشرقي من الداخل وتظهر العقود الحاملة لممر السور .

لوحة رقم (١٧) : قلعة تبوك ، مدخل الحجرة الواقعة في الركن الشمالي الغربي في الطابق الأرضي من القلعة .

لوحة رقم (١٨) : قلعة تبوك ، منظر عام للضلع الشمالي من الداخل .

لوحة رقم (١٩) : قلعة تبوك ، منظر عام للضلع الشمالي من الداخل ، ويظهر ممر السور .

لوحة رقم (٢٠) : قلعة تبوك ، مسجد القلعة في الطابق العلوى الثاني من القلعة ، ويظهر المحراب الذى يعلوه النص المكتشف لترميم القلعة .

لوحة رقم (٢١) : قلعة تبوك ، فتحة البئر وبجواره حوض الماء في فناء القلعة .

لوحة رقم (٢٢) : قلعة تبوك ، فتحة مزغل في الضلع الغربي من القلعة .

لوحة رقم (٢٣) : قلعة تبوك ، السلم الصاعد إلى الطابق العلوى الثاني والواقع في الركن الجنوبي الغربي من القلعة .

لوحة رقم (٢٤) : منظر عام لعين وبركة السكر الواقعة خارج الضلع الغربي من موقع القلعة .

لوحة رقم (٢٥) : جزء من سور القاهرة الذى بني في عهد صلاح الدين والمكتشف حديثا . (ارشيف خاص) .